كيف تصلين إلى
قلب زوجك

تأليف
عماد الحكيم

دار الغد الجديد

كيف تصلين إلى

قلب زوجك

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف : ٢٤٤٦٠٢٣
ترخيص رقم : (٧١)

١٫٤٥٢
ع ح ل

تأليف

عماد الحكيم

دار الغد الجديد

جميع الحقوق محفوظة
جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لـ

دار الغد الجديد

المنصورة - مصر

EXCLUSIVE RIGHTS
BY
DAR AL-GHAD AL-GADEED
EGYPT - AL-MANSOURA

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

دار الغد الجديد

المنصورة - مصر
أمام جامعة الأزهر

تليفاكس: 2254224 - 050 - 002
صندوق بريد: 35111

EMAIL: DAR-ALGHAD@YAHOO.COM

رقم الإيداع: ٤٨٦٢ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولي: .I.S.B.N

977-372-148-0

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله تعالى نحمده ، ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

وبعـــد:

أختى المسلمة : إن الزواج لهو أعظم وأجل النعم التى امتن بها الله عز وجل على عباده ، وكل إنسان يتمنى الفوز بتلك النعمة لما لها من دور هام فى حياة الإنسان بأكملها، فهى تؤثر فينا جسديا ونفسيا وعاطفياً ، وبالتالى فهو يحفظ شرف الإنسان ويصون كرامته ، ويحافظ على الحقوق ، فقد جعل اتصال الرجل بالمرأة اتصالاً كريماً، وبذلك وضع للغريزة سبيلها المأمون ، وحمى المرأة خصوصاً من الضياع ، حتى لا تكون كلأ مستباحا لكل لاه راتع .

وبذلك يهدأ البدن من الاضطراب ، وتسكن النفس عن الصراع ، ويكف النظر عن التطلع إلى الحرام ، ومما يدعونا للتأمل كيفية المحافظة على هذه النعمة والاستفادة منها ، فنجد أن الله عز وجل يرشدنا إلى أن السبيل لحفظ النعم هو شكرها ، قال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم :٧] فعلينا أختاه شكر هذه النعمة ، وكيف نشكرها ؟

الجـواب : لتعرفى أولاً أن فى الزواج الخير الكثير لك ، لذا يجب عليك أن يكون تفكيرك فيه ، وحتى يكون الزواج ناجحاً ، فلابد من اتخاذ السبل التى تحقق لك ذلك ، والمرأة كزوجة لها دور أساس فى نجاح البيت المسلم ، وذلك عن طريق إسعاد الزوج ، فلها دور عظيم فى تحقيق السكينة والمودة التى هى الثمرة الأساسية من

الزواج، وأيضاً فالبيت المسلم يتميز عن غيره بتوفر السعادة والهناء ، ويكون ذلك بعدة عوامل هامة يجب أنْ تنتبهى لها ، فللزوج عظيم الحق عليك، وكفى بذلك الحق أنه جنتك ونارك ، كما ثبت فى الحديث الصحيح ، فانظرى أين أنت منه ، فدخولك الجنة مرهون بذلك ومرتبط به ، بالمرتبة الأولى ، فبناؤك لأسرتك أختاه يجب أن يكون بناء بعيداً بكل المقاييس عن عوامل الهدم التى تزلزل كيان الأسرة ، وكلما قامت المرأة بواجبها تجاه زوجها على أكمل وجه ، كلما حقق البيت الهدف المنشود، وساهم فى بناء الأمة المسلمة التى لا يكون الزواج إلا من أجلها .

ولم تكن مخاطبتى إياك على هذا النحو إلا كخطوة ثانية بعدما همست فى أذن الزوج وتكلمت معه بكلام قوى فى رسالتى الأولى له ، إذ أن الزواج يمثل واجبات وحقوق لكلا الطرفين فيه ، ولا ينفك واجب بلا حق ، ومن هذه المطالب المهمة أيضاً أن تجعلى زواجك هذا لله وحده ، فهو من العبودية لله ، فكلما كان زواجك فى الأصل ابتغاء رضوان الله كلما أعانك الله على تحقيق أهدافك وتحمل المسئوليات وقد قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات :٥٦] وأساس طاعة المرأة لله والتعبد له سبحانه هو طاعة زوجها بعد أداء حق الله سبحانه .

ولنتأمل أختاه حديث النبى ﷺ عندما قال لعمة حصين بن محصن وهى تحكى قالت : أتيت رسول الله ﷺ فى بعض الحاجة فقال : « أى هذه : أذات بعل؟ (أى زوج) قلت : نعم . قال : « كيف أنت له ؟ » قالت : لا أقصر فى طاعته وخدمته إلا ما عجزت عنه . قال : « فانظرى أين أنت منه فإنما هو جنتك ونارك » والمعنى : أنك بطاعتك لزوجك وإعانته على طاعة الله وتنفيذ أمره واجتناب نواهيه، وصبرك عليه ، فإن ذلك يكون سبباً لدخولك الجنة ، وعلى العكس من ذلك ، وأنا أعيذك أنْ تكونى من هؤلاء . اللاتى يعصين أزواجهن، ويقفن أمامهم ، بل ويصدونهم عن طاعة الله تعالى ، فإن هذا الصنف من النساء لهن العقوبة عند الله ، وسبب استحقاق النار فى ذلك أن المرأة تمثل عاملاً أساسياً فى حياة الرجل ، فهى شريكته فى الحياة ، وكم من النساء كن سببا فى دخول أزواجهن الجنة وكم من زوجات كن سبباً

فى دخول أزواجهن النار ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن: ١٤] وسبب العداوة أنهن لم يقمن بحق الإسلام المتمثل فى مراعاة أوامر الله تعالى ونواهيه، وعدم مساعدة الزوج فى القيام بهذا الحق .

وقد ترى بعض النساء أن طاعة الزوج وإسعاده من الأمور الشاقة التى يصعب تحقيقها والقيام بها على أكمل وجه، وهذا كلام خاطئ من كل وجه ، وسأبين لك سهولة الأمر . وهذه الأمور تلزم المرأة معرفتها ووضعها فى حسبانها قبل التفكير فى الزواج ، لتكون المنار والسبيل الذى ترسم به المرأة خطاها .

وفى هذه الرسالة المتواضعة بينت الطرق والسبل التى تكسبين بها زوجك وبينت أيضاً بعض أوصاف الرجال والنساء وطبائعهن ، وكيف يتعامل كل منهما مع الآخر ودعمت ذلك بقصص وحكايات وأقوال تهم كلا الطرفين ، وقد تجدين بعض النصائح والإرشادات التى تعينك على بلوغ ما تريدين من السعادة الحقيقية ، كل ذلك فى عدة نقاط أو عناصر قد تكون متفرقة ، لكنها فى النهاية تهدف إلى تحقيق ما أردناه فى بداية الأمر ، فقد تجدين كل فكرة أو عنصر مستقل بذاته فى مغزاه لكنى أخاطبك أنت من خلاله ، فإلى كل بنت نشأت فى أحضان الفضيلة وسرر الأخلاق.

وإلى كل فتاة أضاعت أيامها الأولى فى اللهو واللعب والمجون

وإلى كل زوجة أخطأت التعامل مع زوجها ولم تفهم مغزى الزواج

وإلى كل أخت داعية همها الإسلام

وإلى كل زوجة مؤمنة ترغب فى حياة الاستقرار

وإلى كل امرأة تفكر فى الزواج

إلى كل هؤلاء أقدم هذه الكلمات

أسأل الله العلى القدير أن يتقبل هذا المجهود المتواضع ، وأن ينالنا ممن يقرؤه دعوة

صالحة بظهر الغيب ، فلعلها تكون خيراً لنا من كـثير من العمل ، وأسأله سبحانه أنْ يجعل ما قلنا وما كتبنا زاداً لنا إلى حسن المصير إليه، ويمن القدوم عليه ، وهو حسبنا ونعم النصير .

عماد بن حمدي الحكيم

١٢ ربيع أول - ١٤٢٦ هـ

أين الأخت المسلمة

أين الأخت المسلمة التي تجعل مهرها الدعوة ، وحليها الأخلاق الكريمة، وفستانها التقوى ، وعطرها الوضوء ، ورصيدها الحسنات.

وأين الأخت التي ترصد أسعار أسواق الجنة ، فتكون لزوجها أمّا في الحنان، وبنتا في الطاعة، وأختاً في الدعوة، وحبيبة في الفراش، وزوجة في الدنيا ، وفي نعيم الجنان، تتقرب إليه بما يحب [١] ، وتبتعد عما يكره، تلقاه مبتسمة، وتودعه بالدعاء، ليعود إليها مشتاقا فيهمس في أذنيها ويقول :

ولقد أراك كسيت أجمل منظر ومن الجمال سكينة ووقار

والريح إذا استقبلتها والعرض لا دنس ولا خوار

فجزاك ربك عن عشيرك نظرة وسقى صداك مجلجل مدرار

فإذا سريت رأيت نارك نورت وجها أغر يزينه الإسفار

صلى الملائكة الذين تخيروا والصالحون عليك والأبرار [٢]

لمسة مؤمنة

إنني أدعو بظهر الغيب لكل زوجة مؤمنة أن تتزين لزوجها المسلم ، لتحفظه من الفتن ، والتزين عبادة صالحة، تناسب الفطرة السليمة، وهل هناك أعظم من الإيمان في حياة الإنسان ؟ ومع هذا فقد زينه الله وحببه إلى عباده ، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات : ٧] فالزوجة المؤمنة بوعد الله تعرف كيف تكسب قلب زوجها ، وأن تكون دائما زوجة جديدة في حياته ، فالكلمة

---

(١) سري وللنساء فقط ، لفضيلة الشيخ أحمد القطان (١ : ٦) وقد أوردت مقتطفات من هذه الرسالة القيمة بلفظها دون تصرف لتمام الفائدة.

(٢) انظر ديوان جرير الخطفي .

الحلوة زينة، والبسمة المشرقة جمال ، والرائحة الطيبة بهجة، والفستان الأنيق واللمسات اللطيفة للشعر ،والاختيار الموفق لبعض الحلى البسيط المنسجم مع لون البشرة والثوب .

والنظافة المستمرة طهارة وعبادة ، فأنت بذلك حورية الدنيا ، وسيدة القصر فى جنات النعيم، تعلَّمى أيتها الزوجة من القرآن أخلاق الحور العين ، وتسابقى معهن إلى قلب زوجك ، واجعلى دنياه جنة، البسى له الحرير ، وضعى له العطور ، وغنى له كما تغنى الحور العين :

لزوجة مطيعة ... عينك عنها راضية
وطفلة صغيرة ... محفوفة بالعافية
وغرفة نظيفة ... نفسك فيها هانية
ولقمة لذيذة ... من يد أغلى طاهية
خير من الساعات فى ... ظل القصور العالية
تعقبها عقوبة ... يصلى بنار حامية (١)

قاصرات الطرف عين

أختى الفاضلة : للعيون حديث ، ألذ من كل حديث، فاقصرى طرفك على النظر إلى زوجك ، كلما دخل عليك تلقته عيناك بأحلى سلام ، وأجمل ابتسام، وتذكرى قوله تعالى : ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات : ٤٨-٤٩] .

لماذا يا أختاه ؟!

لماذا هذا المنديل على رأسك وفى بيتك؟ وإنما جعل الحجاب عن الأجانب لماذا

(١) البيتان الأخيران من ديوان أبى العتاهية -وانظر سرى للنساء لفضيلة الشيخ أحمد القطان (٩-٢٠) .

هذا الفستان البصلى المطبخى ترتدينه عند قدوم الزوج ؟

أما تخافين من زميلة العمل ؟

ما هذه الأسنان التى فيها بقايا البيض والبقل والمكسرات ؟

وما هذه الحموضة التى تنبعث من العنق ساعة الاعتناق ؟ حتى إذا أصابه الاختناق، وأراد الافتراق، ونادى بالطلاق ، ذهبت تبحثين عن مشعوذ أو ساحر ليعيد لك الوفاق، وأنت عندك السحر الحلال ولكن لا تشعرين !!

لماذا يقول لى أحد الأزواج : أنَّ عنده فى البيت ثلاجتان إحداهما زوجته .

وقال آخر : تعلمت تغسيل الموتى فوق سرير النوم .

وقال آخر : أصبحت لا أفرق بين طعم اللحم والخشب .

وقال رابع : إنها تقرأ الصحف على ضوء الأباجورة .

وقال خامس : إنها تنام بعد الطعام ، ولا تدرى بعد ذلك ما حدث .

نداء إلى الزوجات العزيزات : إن لغرفة النوم شغلاً وفاكهة، وآخر أعمالها النوم، قال تعالى : ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس : ٥٥- ٥٧] .

أيتها المرأة اسمعى واعى

إن الشباب المسلم اليوم يعانى كل لحظة من ذلك النداء الجنسى الصارخ الذى يقول بلسان حال أو مقال امرأة : « هيت لك » فسبحان الذى يثبتهم ويعصمهم فهناك الشاب الذى يدرس فى دول الغرب ويظل سنين دراسته الطوال لا يقع فى شباك امرأة داعرة ، دعته إلى نفسها فأبى واستعصم ، إنه لآية من آيات الله ومعجزة من معجزات العفاف اليوسفى ، الذى أثنى الله عليه فى سورة يوسف عليه السلام ، يوم أن قالت له المرأة اللاهثة شوقاً إليه « هيت لك » .

والدنيا الآن فيها شهوات وزينة ، وزخارف ومغريات ، وفيها نساء وملاهٍ وإغراء

وفتن ، والذى يحفظ الشاب من ذلك كله هى المرأة الصالحة ، الصالحة من كل وجه، وليس بالصلاح المظهرى فقط كالحجاب مثلاً ، والذى يعتبره بعض النساء، هو الدين كله ، لطالما لبسته ، ضمنت دخولها الجنة ، وظلت هكذا تتغنى به وتدندن حوله .

إن المرأة الصالحة هى التى تعرف كيف تكسب قلب زوجها ، وتحفظه من مفاتن الدنيا التى تغنى الزوج عن النظر أو الالتفات إلى سواها ، وتسره فى حضره وتحفظه فى سفره، وتملك عليه نفسه اشتياقاً لها فى غربته فلا ينظر إلى سواها .

لقد شكى كثير من الشباب من حاله مع أهله فقال : لقد سافرت فى غربتى إلى أهلى وتزوجت أختاً فى الله ، وحرصت على ذات الدين ، ولما أردت الدخول بها لم أستطيع فقد رأيت امرأة هزيلة يقتلها الهم والخوف من المجهول ، فقد امتنعت خلال فترة خطبتها عن الطعام والمنام ، وقد زاد عليها بعض أرحامها الخوف، من ليلة الزفاف ، وقد رأيتها فى غرفتى واجمة صفراء، فى خجل مستمر ، ذلك الخجل المرضى المزعج والذى يختلف عن الحياء ، فإن الحياء لا يمنع من إعطاء تلك الليلة حقها ، فالخجل جعلها واجمة، فلا كلام ، ولا ابتسام ، ولا انسجام ، كأننا فى ليلة عزاء ، وعند الالتصاق بها يبدأ الصراع الرهيب ، وتكتشف أنها تحتاج إلى بطل حتى يستطيع أخذ حقه منها ، فالأظافر الطويلة تخترق الخواصر ، ودموع كالغيث تكسر الخواطر ، وكآبه مستمرة ، وحزن متواصل ، وفهم للدين قاصر ، فهى إنما تصلح فى ليلة الزفاف للعزاء فقط ، ولا عزاء للرجال .

همسة حانية

الزوجة الصالحة هى التى يجد عندها زوجها ما لا يقدر عليه غيرها ، ولذا قال النبى ﷺ : « من رأى منكم امرأة فأعجبته ، فليأت أهله فإن عندها ما عندها »[١] .

---

(١) مسلم (١٤٠٣ / ٩-١٠) من حديث جابر - رضى الله عنه -.

صرخة وطلاق ليلة العرس

تحكى إحدى الفتيات فتقول : كنت مولعة بحفلات الأعراس ، وأنا امرأة متحجبة ، وزوجي متدين ، وكثيراً ما كان يحذرنى من الاختلاط فى حفلات الأعراس فإذا كان الجميع نساء نزعت حجابى ، وشاركت في الرقص والغناء ، إننى فعلاً جميلة وأحب أن أسمع النساء فى تلك الليلة يقلن : إنها أجمل من العروس فأشبع غرورى ، وكان زوجى يوصينى كل مرة بعدم نزع حجابى خارج بيتى ، ويذكرنى بحديث الرسول ﷺ : « **أيما امرأة وضعت ثيابها فى غير بيت زوجها ، فقد هتكت ستر ما بينهما وبين الله عز وجل** »[(١)] وذات يوم سافر زوجى إلى إحدى دول الخليج وهناك فى إحدى الأماكن تجادل شابان حول بنات دول الخليج ، أيهن أجمل ؟ فقام أحدهم وأحضر شريط فيديو خاص ببلدى ، اشتراه سراً بثمن باهظ ، فيه إحدى حفلات العرس، وفوجئ زوجى إذ رآنى أغنى وأرقص وألفح شعرى ، ونصف صدرى عارى ، فأخذ الشباب يتشهون على مفاتنى ، فلم يتمالك إلا أن خرج مغاضباً ، وعاد من سفره ونشبت بينى وبينه معركة انتهت بالطلاق ، وأنا الآن معذبة تعيسة تطاردنى الخطيئة فى كل مكان .

المعصية سبب الندامة

وتحكى أخرى قصتها فتقول : كنا معا فى أطيب حال ، وأهنأ بال ، زوجين سعيدين ، متعاونين على طاعة الله ، وعندنا القناعة والرضا ، طفلتنا مصباح الدار ، كركراتها تفتق الزهور ، إنها ريحانة تهتز فإن جن علينا الليل ونامت الصغيرة قمت معه نسبح الله ، يؤمنى ويرتل القرآن ترتيلا وتصلى معنا الدموع فى سكينة وخشوع، وكأنى أسمعها وهى تفيض قائلة : أنا إيمان فلان وفلانة.

وذات يوم أردنا أن نكثر فيه من الأموال ، اقترحت على زوجى أن نشترى أسهما

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند (٦/ ٣٠١) من حديث أم سلمة وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (١٦٤) .

ربوية ، لتكثر منها الأموال ، فتدخرها للأولاد ، فوضعنا فيها كل ما نملك ، حتى حليّ« الشبكة » أي: المهر ، ثم انخفضت أسهم السوق ، وأحسسنا بالهلكة ، فأصبح الدينار فلساً ، وشربنا من الهموم كأساً ، وكثرت علينا الديون والتبعات ، وعلمنا أنه : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [البقرة:٢٧٦] وفي ليلة حزينة ، خوت فيها الخزينة ، تشاجرت مع زوجي ، فطلبت منه الطلاق ، فصاح : أنت طالق - أنت طالق [١] فبكيت وبكيت الصغيرة ، وعبر الدموع الجارية تذكرت جيداً : يوم جمعتنا الطاعة وفرقتنا المعصية .

لا تصفيها ... !

وبعض الزوجات وبطيبة قلبها وحسن نيتها ، إذا رأت أختاً مسلمة عندها مسحة جمال ، ودفعة نشاط ، تأخذ في وصفها لزوجها ، ومدحتها عنده ، وأكثرت من ذكرها والثناء عليها بعد كل مناسبة تراها ، وهي لا تعلم أن القلب يعشق قبل العين أحياناً وإن كان ذلك عن طريق السمع فقط، وقد تكون هذه الزوجة تعيش مع زوجها في أحسن حال ، وفجأة تبدأ الحياة تتعكر بينهما ، وهي لا تدرى ما سبب ذلك ، ويتدخل الشيطان ليكمل هدم هذه الأسرة ، لأنه وجد الطريق مفتوحاً ، يبدأ الشيطان بالزوج فيشغله دائما ببذل الحيلة ، واستخدام كل وسيلة لرؤية تلك المرأة ، ويأخذ في تتبع أخبارها ، ومعرفة حالها ، وهل هي متزوجة أو غير متزوجة ، ويبحث عن عنوانها ، ويسأل عن عمرها . . .إلخ ، وقد يكون مع أهله في الفراش فيوهمه الشيطان بها ، ويتخيل أنها بين يديه . . ويأتيه بالتوهيمات والخيالات . ثم يبدأ يكره زوجته، ويتفنن في إيذائها ، وإلصاق أقبح الصفات بها أمام الآخرين ، وذلك ليعطى لنفسه المبرر والعذر بذلك الطريق الشيطاني الذي سلكه ، والذي دفعته إليه زوجته حين وصفت له امرأة أخرى نهى الشرع الإسلامي عن وصف محاسنها للرجال.

وقد يكون عنده أولاد وأسرة كبيرة فتنقلب الحياة إلى جحيم لا يطاق .

والزوج لا يتجرأ على التصريح بتعلقه بتلك المرأة لأسباب مادية أو نفسية أو

---

(١) وهكذا تفعل المعصية ، وهكذا يحدث لمن يستمع لكلام زوجته وهكذا تكون النتيجة.

اجتماعية ، ولكنه يختلق المشاكل التى تعصف بكيان الأسرة فيتشرد الأطفال ، ويقبل الرجل على اقتراف بعض المحرمات مثل التدخين وغيره ، وقد يقوده شيطانه إلى حبائل الخمر ، وسبل الرذيلة ، وطرق المخدرات ، فيهمل بيته ، ويترك تربية أولاده.

وصدق الرسول ﷺ : « لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها»[(١)].

« بيتك مفتوح دائما »

إن بيت الداعية مأوى الدعاة الغرباء ، والضيوف الكرماء ، والأخوة الأحباء وجميع الأصدقاء ، لقد كانت سارة زوجة إبراهيم عليه السلام مع كبر سنها ، وجلالة قدرها ، تقوم بتجهيز أحسن الطبخات ، وتشرف على أصعب الاكلات ، وهل هناك على ربة البيت من أن تفاجأ بزوجها وقد أتى بعجل سمين لتقوم على تجهيزه وإعداده ووضعه للضيوف، فقد جاءها إبراهيم عليه السلام بعجل سمين لتعده لمن ظنهم يأكلون فكانوا من الملائكة ولم يأكلوا ، ولكن زوجته جهزته للأضياف : (فقربه إليهم قال ألا تأكلون) فماذا نقول اليوم لداعية تعرف أسماء المطاعم ، ولا تعرف كيف تجهز بيضة واحدة، أليس العيب أنها تعرف أن تأكل فقط؟

إن هذه المسكينة قد غفلت ولم تعلم أنها زوجة فاشلة ، فلم وهى الداعية لا تكون كفاطمة بنت محمد ﷺ سيدة نساء أهل الجنة وابنة خاتم المرسلين التى أكلت الرحى من يديها ، وهى تطحن الشعير والقمح ، وتخبز الخبز لبيتها ، ولا ننسى جمال القول النبوى ، وهو يصف أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وهى الزوجة الناجحة حبيبة رسول رب العالمين ﷺ وابنة الصديق رضى الله عنهما ، إذ يقول : «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »[(٢)] ، فلتكن الأخت الداعية كسارة وفاطمة بنت الرسول ﷺ وعائشة رضى الله عنهن جميعاً ، فتكن داعية إلى ربها ، زوجة ناجحة فى بيتها أما بارة لأولادها .

---

(١) البخارى (٥٢٤٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

(٢) البخارى (٣٤١١)،ومسلم (٣٤٣١ / ٧٠) من حديث أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه.

اللقاء الأسرى... !

أيتها الزوجة الحبيبة المسلمة ، يا ذات الوجه المتوضئ ، المشرق بنور الإيمان يا من جعلت بيتها محراب الصالحين ، وأطفالها براعم الإيمان ، احرصى على بناء بيتك باللقاء الأسرى الأسبوعى ، وذلك بأن تتفقى مع الزوج الحبيب على تحديد يوم فى الأسبوع تتفرغون فيه تماماً لبناء الأسرة ، ترسمون فيه برنامجاً إيمانياً ، يلتقى الوالد مع أطفاله وقد أعد كلمة صغيرة ، اختارها من كتاب السلوك الاجتماعى لفضيلة الشيخ حسن أيوب .

ويجمع الأولاد أمام المصاحف ويفتتح هذا اللقاء المبارك بآيات من القرآن الكريم، يرتلها أحد الأطفال من المصحف الشريف ، ثم كلمة صغيرة من الأم فيها نصائح تربوية تأخذها من كتاب واجبات الآباء نحو الأبناء ، ثم يلقى الابن الأكبر كلمة قصيرة عن أحوال المسلمين حول العالم ، يساعده الوالدان فى تحضيرها ، ثم يكون ترتيل فردى لقصار السور يقوم به الأطفال ، ثم سمر ثقافى من خلال أسئلة يطرحها الوالد على أطفاله ، وتجمع الدرجات وتقدم الهدية للفائز ، وفى النهاية تؤكل الحلوى، وتشرب المرطبات ، ويختم الوالد اللقاء بالتوجه إلى الله بالدعاء .

الرياحين الصغار... !

« هما ريحانتاى من الدنيا » (١) .

قال النبى ﷺ فى الحسن والحسين رضوان الله عليهما ، وعلى أبيهما وجدتهما خديجة أم المؤمنين وعلى جميع أمهات المؤمنين إن قبلة الوالد لأطفاله الصغار ليست مجرد قبلة ، بل هى قبلة وشمة ، واستنشاق وضمة ، فهم رياحين صغار ، لا تزال رائحة الفطرة فيهم ، فرائحة شعر الطفل الرضيع مميزة لا يشبهها إلا رائحة ريش صغار الطيور ، فى غابات الزهور ، فى أوقات البكور ، يتحدر منها قطر الندى كأنه

---

(١) أخرجه البخارى (٣٧٥٣) من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

اللؤلؤ الرطب فى نحور الحور ، والأب يتلهف إلى ملاعبة ولده ، فلا تزعجيه بإهمال « الحفاظة » فتنتشر منها الرائحة ساعة الملاعبة ، وعلى الزوجة أن تعرف جيداً أوقات فراغ زوجها ، وشوقه إلى ملاعبة طفله ، فتنظفه وتلبسه وتحسنه حتى يصبح وردة على صدر والده ، فحب الولد من حب الوالدة ، ونظافته عنوان نظافتها وأناقته دليل أناقتها » وعلى الأم الحريصة على حب زوجها ورضاه أن تبعد أولادها عن المخاطر ، فلا تتركه عند فرامة اللحم ، أو عصارة الفاكهة، أو أمام النيران » لأن إهمال الطفل وإصابته بالضرر يؤثر تأثيراً كبيراً على علاقة الحب والمودة بين الزوجين، وعلى الأم أن لا تترك ريحانة قلبها بين أيدى الخدامة، أو المربية زمناً طويلاً ، لأن الولد فلذة الكبد ، فمن يرضى أن يضع قلبه بين يدى غيره، فضلا عن الخادمة التى لا تعرف دينا ولا خلقاً . . ، ولتذكر المرأة موقف أم موسى عليه السلام عندما فارقها وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ [القصص : ١٠] .

فكيف ترتاح عينك وهى لا تنظر إلى عيون طفلك ؟

اسمعى معى إلى قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [القصص : ١٣] أختى الحبيبة : « أطفالنا أكبادنا تمشى على الأرض » إنهم ثمار الفؤاد !! ونور العيون !!

فقد ارتوت عروقهم من صدرك الطاهر ، فلا تضيعيهم بيديك .

رضاعة فى رحاب الوحى ... !

قال تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]

يقول الأطباء وعلماء النفس وأرباب السلوك : إن الطفل الذى يرضع صدر أمه ينمو نمواً سوياً ويعيش قوياً ، فالطفل يرضع من الحليب الحنان والرحمة والأخلاق والسلوك ، لأن صدر الأم له رائحة مميزة تكسب الطفل الهدوء والطمأنينة عند الرضاعة، وبواسطة حاسة اللمس عند الطفل ، وقوة التذوق عنده يتعرف على من حوله » وقد روى أن الإمام « أحمد بن حنبل رحمه الله » رأى أحد أبنائه ترضعه

جارية « خادمة » فتزعه منها وأعاده إلى أمه ، وأفرغ الحليب من بطنه، ولما كبر الطفل ومرت الأيام » فكان يمر بحالة عصبية بين الحين والحين فيقول الإمام أحمد : هذه من تلك الرضعة التى أخذها من الجارية . فحليب الأم لا يعوضه غيره ، فهو يتكون حسب عمر الطفل وحاجة جسمه إليه وهو نظيف ومعقم ، وكذلك فإن الأطباء يؤكدون أن الأم التى ترضع طفلها لا يصيب صدرها السرطان بإذن الله ، كما أنها تتخلص من السمنة المفرطة.

والأمومة جوعة فى نفس كل امرأة ، وإن من كمال الأمومة الحمل ، والولادة والرضاعة ، وبها تأخذ الأم حقوقها الثلاثة : « أمك ثم أمك ثم أمك » لأنها حملت ووضعت وأرضعت والأم تشعر وهى ترضع طفلها أنه يمص مادة حياته من جسمها، فتحس بالعطف والحنان تجاه أولادها ، ويستمر هذا الحنان عند الأم حتى يكبر أولادها فتشعر بهم أطفالاً أمامها ، وهذا الشعور بالحنان مفقود فى القصور وحياة المترفات اللواتى يوكلن مهمة الأمومة إلى الخادمات اللواتى يقمن بدور الأمهات ، ولذلك ينشأ الأطفال قساة القلوب ، قاطعي الأرحام ، عاقين لوالديهم .وصدق الله إذ يقول : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة : ٢٣٣]، وكما أن للطفل حظاً فى صدر أمه وحنانها ، فلا يفوتها أن تعلم أن المظهر الجمالى ، وكمال الأنوثة لها كامل الحفظ وتمام النصاب للزوج ، فلا تهمل المرأة حق زوجها أثناء الرضاعة ، بل عليها أن تعطى لكل ذى حق حقه .

أناقة الحائض ... !

بعض الزوجات إذا جاءها الحيض أعلنت لزوجها عن أسبوع القذارة فلا تتنظف له ، ولا تتزين عنده، وتظن أن الحيض معناه : حرمان الزوج من المباشرة والاستمتاع بسائر الجسد سبعة أيام وقد تطول إلى أسبوعين، والزوج فى عذاب وقلق.

أين الكحل فى العينين ؟ وأين زينة الوجة والشعر والثوب والرائحة ؟ بل كان يجب عليها أن تضاعف الاهتمام لتعوض الزوج حاجته، فالرسول ﷺ كان يباشر

أهله فى الحيض (١)، ويقول : « اعملوا كل شيء إلا الجماع » (٢) .

بل الإهمال والقذارة من أخلاق اليهود ، حيث أن المرأة إذا حاضت فيهم حبسوها فى خيمة لا تخرج ، ولا يدخل عليها أحد ، حتى يقف نزول الدم !!

روى أبو داود عن بعض أزواج النبى ﷺ : أن النبى ﷺ كان إذا أراد من الحائض شيئا ألقى على فرجها ثوباً (٣)، وعن مسروق بن الأجدع رضى الله عنه قال: سألت عائشة : ما للرجل من امرأته إذا كانت حائضا قالت : كل شيء إلا الفرج . رواه البخارى فى تاريخه (٤) .

معاهدة الثوم ... !

إن الزوج قد يصاب بصدمة نفسية ، فيكره زوجته إلى الأبد ، ولا يشتهيها ، وقد تكون آية فى الجمال ، ولكنه كرهها بسبب ليلة الثوم ، وهى كذلك قد لا تشتهيه بسبب رائحة السجائر فى فمه أو البصل ، فعلى الزوجين أن يقيما بينهما « معاهدة الثوم » خاصة يوم الخميس وليلة الجمعة والأعياد والعطل ليكون الزوجان فى نعيم من القبل .

مشغ لة .. تعبانة ... !

إنها تطبخ بالليل لغداء النهار ، وموظفة بالنهار فى الوزارة لتعب الليل ، والزوج المسكين كل يوم يأكل الطعام البائت، أو الذى تطبخه الخادمة ، وهى تمسح أنفها وتحك إبطها ، وكثيراً ما يعثر الأزواج فى المرق على شعرة طويلة فيها دهن الخادمات، وإذا جاء الليل جاءت الزوجة متعبة ، وقد تلبس بعضهن لباس النوم تحت

---

(١) البخارى (٣٠٠) ، ومسلم (٢٩٣ / ١) من حديث عائشة رضى الله عنها .

(٢) مسلم (٣٠٢ / ١٦) من حديث أنس رضى الله عنه .

(٣) أبو داود (٢٧٢) انظر صحيح الجامع (٤٦٦٣) .

(٤) كذا فى المتنفس لابن تيمية (١/ ٢٢٤ مع نيل الأوطار) وقد أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (١٢٦٠) وغيره عن عائشة رضى الله عنها .

لباس العمل فتنزع لباس العمل الذى تفوح منه رائحة سجائر المراجعين والموظفين ، ويظهر تحته قميص النوم الأبيض. . والزوج فى صراع مع النوم وما إن تدخل عليه فى غرفته يصيح أين أنت ؟ فتقول : تعبانة مشغولة ، فيفتح عينيه بتثاقل شديد فيراها بثوبها الأبيض فيتمتم قائلا : أهلا بملاك الرحمة ثم ينام ليحتلم آخر الليل .

أحاديث القلوب

العلاقة بين الزوجين تنمو وتتأصل كلما تجددت ودارت الأحاديث بينهما فهى وسيلة التعارف الذى يؤدى إلى التآلف « **فالأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف** »[١] .

فالحذر من تعود الصمت الدائم بينهما ، فتتحول الحياة إلى روتين يفيض كأنها ثكنة عسكرية، فيها أوامر الزوج وطاعة من الزوجة فقط « خذى ،هاتى ، كلى ، اشربى ، قومى ، اقعدى ، تعالى ، اذهبى، نامى ، استيقظى ، ماذا ترتدين؟ ماذا تخرجين ؟ اسطوانه كل يوم مكررة تجعل الحياة الزوجية باهتة باردة، فأين الحب ؟ وأين اللطافة؟ وأين المودة والرحمة ، وما بينهما !! أين الأحاديث الحسان عن جمال عيونها ، وعذوبه ألفاظها ، ورقة ذوقها ، وحسن اختيارها، وأين الإعجاب بالعطر الذى يضعه الزوج؟ والثناء على نظافة الثوب والجسد، أين كلمات الشكر والدعاء عند جلب الأرزاق ؟ أين الذكريات الحلوة عن رحلة العمر ؟ ومخيم الربيع ، بل أيام العسل الحلوة قبل الطفل الأول ، أين ذكريات الأطفال الصغار والمناغات واللثغة الجميلة ؟ والحركات البريئة » وميل الصغار فى كسب الحب والحلوى ، أين الأحاديث عن بساطة الحياة فى الماضى ؟ وسهولة الزواج ، وبركة السماحة ؟ والقناعة » والرضا بالقليل » وكيف كان البيت الصغير جنة لأن القلوب واسعة ونظيفة ، والأرحام موصولة ، والأيدى متماسكة،وحسن الظن شعار الجميع ،

---

(١) مسلم (٢٦٣٨/١٥٩) عن أبى هريرة وهو عند البخارى(٣٣٣٦) معلقا من حديث عائشة رضى الله عنها .

لا حسد ولا حقد ، أين الأيام التى كان فيها الزوج يشتاق إلى زوجته وهو معها ؟ والآن يسافر عنها ويفر ويعود منها ولا يعود إلا مضطرا للعمل والوظيفة ، أيها الزوجان الحبيبان : ليبن كل واحد منكما فى قلب صاحبه جسورا من الحب والالتزام، تحادثا فى الخلوة حديث العشاق ، إلا تفعلا ذلك فاعلما أن الشيطان الآن قد وضع عرشه على الماء وأرسل سراياه وجنوده . . . وأحظاهم عنده الذى يقول : «ما تركته حتى فرقت بينه وبين زوجته »[1] .

اللعب المباح... !

لا بأس من أن تنظم الزوجة أوقاتاً خاصة للعب مع الزوج ، وهذه سنة ، فقد كانت عائشة رضى الله عنها تسابق الرسول ﷺ فتسبقه ويسبقها[2] . فالألعاب المنزلية التى تجمع الأنس فى القلوب تضفى على الحياة الزوجية البهجة والسرور والسعادة ، والألعاب كثيرة منها ما ينمى الذكاء ،ومنها ما يقوى الجسد ،ومنها ما ينعش الروح المرحة .

المهم أن تحرصى على قطع الروتين البغيض فى حياة الزوج ، وصدق الرسول الكريم ﷺ القائل : « **هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك** »[3] .

الخادمة فتنته... !

الحياة الطويلة مع الزوجة تجعلها لا تبالى بمشاعر الزوج ، خاصة إذا كان العمر فى الأربعين ، وهو عمر الرجولة الكاملة ، فتظن أن قيامها بمهام الأولاد ورعاية شئون البيت وطول الحياة الزوجية عذر كافٍ لإهمالها الزوج والرغبة الجنسية عنده ، وفجأة تهبط خادمة فلبينية على الأسرة ويكون الانقلاب !! خادمة صغيرة تعمل بصمت وهدوء ، ولكن إذا حدثتك حدثك كل شىء فيها : شعرها، وعيناها،

---

(١) مسلم (٢٨١٣/٦٧) من حديث جابر رضى الله عنه .

(٢) رواه أبو داود (٢٥٧٨) والنسائي (٤٨٩٢ ـ ٨٩٤٥) وابن ماجه (١٩٧٩) من حديث عائشة.

(٣) يشير إلى حديث جابر رضى الله عنه أخرجه البخارى (٥٠٨٠) ، ومسلم (٧١٥/ ٥٥) .

وابتسامتها ، ومحياها ، علموها فن اقتناص القلوب فلا تحتاج أبداً إلى مكياج !! ومنهن من لا ترد يد لامس ، إن فاتها الوالد لا يفارقها الولد ، وبعضهن قالت لسيدتها عند الوداع في المطار : إنني لم أر مثلك في الجود والكرم ، ولكن أعيب عليك أنك لم تدعي فرصة واحدة أمارس فيها الحب مع زوجك الوسيم . والزوج الشريف صابر مصابر ، مرابط مقهور محتسب ، لا يستطيع الزواج من ثانية لاعتبارات خاصة به وبالأسرة ولا الزوجة تعطيه اعتبار فتتزين له ، لا والنار معه فى البيت ، والمصيبة تحيط بالطالب المراهق الذى يذاكر فى الدار ، والبيت خالٍ والشيطان ثالثهما ، إنها فتنة دخلت أكثر البيوت .

السحر كفر... !

أفاجأ وأحزن كثيراً عندما أكتشف بين الحين والحين أن هناك مسلما مسحورا فرقوا بينه وبين زوجته ، وأنّ الذى عمل ذلك السحر بعض النساء المحجبات والشيطان الذى كان يصرعه يقول على لسان المسحور المصروع : إنى لا أستطيع أن أتركه لأن فلانة الساحرة عملت له السحر ، وإذا فلانة تضع المنديل على رأسها وتقول أنا محجبة، ولا تدرى أن السحر كفر ، وأن صاحبه مخلد فى النار، لأن السحر لا ينعقد إلا بطاعة الجن ، وتسخير الساحر لما لا يرضى الله سبحانه وتعالى ، ويكون كذلك بالشرك، حتى أننى رأيت بعضهم خلال فترة العلاج والقراءة يقوم أمامى ويسجد للجن السحرة ، وهو ذاهل عن نفسه لا يدرى ما يصنع ، وكل ذلك من أثر السحر الخبيث الذى علمنا ربنا أن نتعوذ منه قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١:٥] والنفاثات فى العقد : هن الساحرات : وقال تعالى : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ

خلاق ولَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ١٠٢].

فالحذر من هذه الورطة العظيمة التي قد تخلد صاحبها في النار ، قال تعالى: ﴿وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه : ٦٩] ، وقال تعالى : ﴿مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس : ٨١] .

ذات الدين ... !

بعض الأسر الغنية تعيش حياة اللهو ، ولا تعلم أن ذلك يؤثر على مستقبل البنات فترى الفتيات يسافرن وحدهن إلى دول أوروبا ، ويفتخرن بالتصوير مع الممثل الفلاني ، والمغني الفلاني ، وقد لا يفعلن الفاحشة ، ولكن طبيعة الحياة اللاهية تعطي نفسية الإنسان تركيبة خاصة ، فإذا صارت هذه البنت زوجة أو أما ، بدأت المسئولية الأسرية وبالتالي تفشل هذه المسكينة في حياتها ، لأنها لم تتلق التربية الكافية، فيكثر الطلاق المبكر بعد الزوج .

وفي هذه الأسر تلاحظ أن العنوسة تكثر فيها ، والسر أن السمعة بالنسبة للفتاة مهمة جداً عند الخاطب، فإذا علم أنها لا تبالي بالقيم والأخلاق ، وأنها متروكة على حل شعرها لا يتقدم إليها أحد ، فالإنسان يريد زوجة تكون أما ومربية ومدرسة لأولاده ، لا عشيقة فقط ، فنصيحة إلى كل فتاة غنية لاهية ،أقول لها : البسي الحجاب ، وتمسكي بالدين ، وحافظي على سمعتك ، وانتظري قليلا وسيأتيك الزوج الصالح المناسب ، عند ذلك تعلمين أن السعادة بالدين والأخلاق والاستقرار.

زميلة العمل ... !

لا يخلو عمل من شرفاء وسفهاء، وأهل حق ، وأهل باطل ، والأخت المسلمة لا تعمل خارج البيت إلا لضرورة ، فالوظيفة ليست غاية ، وعمل المرأة إنما يكون ضمن اختصاصها، وفي ما ينفع النساء كالعمل في التدريس وعلاجهن. . . إلخ أما أن تكون الوظيفة على حساب البيت والأولاد وراحة الزوج ، وبعض النساء يكون عملها على حساب الدين والشرف !! ولا تبالي بشيء إذا سلم لها الراتب الشهري

تشعر أنها قد استغنت عن الزوج ونفقته ، فتشترى ما تشاء وتلبس ما تشاء !! والكارثة تكون عندما يوجد فى العمل امرأة فاسدة، فهى لا يهدأ لها بال حتى يفسد جميع من فى القسم معها ، وتكون شبكة من شباك الشيطان ، فتراها تتحدث عن مغامراتها ، وأن المسألة سهلة وهينة، وأن البعض يعقد الأمور باسم الدين ، وتبدأ تصف لحظات الأنس والشهوة المحرمة مع فلان الوسيم وكيف يطمح لو التقى بفلانة على العشاء فى أحد المطاعم، ولا بأس من مجرد الحضور والاستماع ، وهكذا تعمل معها بالتدريج حتى توقعها فى الهاوية ، وتبدأ مع الثانية والثالثة وهكذا ، ويحفظ الله من حفظت حقوقه وإذا استعصت واحدة اجتمع عليها الجميع من كل جانب وجروها معهم ، وأصبحوا فى الخطيئة سواء ، ويا لها من بلوى هدمت بيوت ، وأهدرت أعراض ، وحطمت أخلاق ، وورطت مسلمات .

وصدق الشاعر :

واحذر مآخاة الدنىء فإنه يعدى كما يعدى السليم الأجرب

صدق الرسول الكريم ﷺ : « الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»(١).

فالحذر كل الحذر مما يسمى بزميلة العمل ذات الحجاب المتبرج ، والمكياج المتوهج والمشى المتعوج ، والسلوك المتعرج، الجريئة على محادثه الرجال ، التى لا تثبت على حال ، من علاماتها تدقيق الحواجب، وإضاعة الواجب، ودخول المكاتب ، لها عطر فواح ، ودموع المساح، لها صديق فى المساء ، وزميل فى الصباح ، ربطت فى وسطها الزنار، وحمرة شفتيها كحمرة النار ، ضيقت عليها الفستان ، حتى ظهرت سيور السُتيان .

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٣٣) ، والترمذى (٢٣٧٨) من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - وانظر صحيح الجامع (٣٥٤٥) .

أمور ينبغي القيام بها قبل الزواج لتحقيق السعادة الزوجية

أختاه : لكي تحـقـقي السعادة الزوجـية المطلوبة لابد قبل الزواج من التنبـيه لعدة أمور تعينك على إسعاد زوجك منها :

معرفة نوايا الزواج :

فكما اتفقنا حـبيبتي أن الزواج لكي ينجح لابد أن يكون في ذاته عـبودية لله عز وجل، وكل عبادة يقوم بها الإنسان لابد أن تكون لها نوايا صالحة يقصد بها وجه الله عز وجل كي يوفقه الله في عمله .

فللزوج أختاه نوايـا عديدة كلما تذكرتيهـا وسعيت في تحصيلـها ، أعانتك على القيام بدورك نحو زوجك فإن الهمة تكون على قدر الهم .

ومن هذه النوايا (١):

١- تحقيق السكينة والطمأنينة :

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم:٢١].

فبـالزواج تحقـقين أختـاه لنفسك وجـسدك الراحة والسكـن النفسي والمتـعة لك ولزوجك وهي أمور لا تحـدث أبداً للإنسان بدون زواج ، وكلما تحقـقت هذه الأمور كلما أعانت المرأة على القيام بتكاليفها الملقاة على عاتقها .

٢- إنجاب الذرية الصالحة :

فبالزواج أختاه تكون لك الفرصة العظمى في إنجاب الذرية وهي من الغايات التي شرع الزواج من أجلها كما قال النبي ﷺ : « تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم » .

وأيضا لتتركي الولد الصـالح الذي يدعـو لك بعد موتك كما أخبر النبي ﷺ ،

(١) لم أذكر كل النوايا ولكن أهمها وما يعين على إسعاد الزوج .

وكلما تحققت السعادة داخل الأسرة كلما كان لها عظيم الأثر فى نفس الأولاد ، وكلما حققت الأسرة المسلمة دورها فى هذه الأرض .

٣ - غض البصر وإحصان الفرج :

وهى من الأمور التى أمر الله عز وجل بها فى كتابه فقال سبحانه ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور: ٣٠] والزواج يعينك أختاه على تنفيذ هذا الأمر من الله سبحانه وتعالى كما قال النبى ﷺ : « **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج** » ، فبهذا أختاه تجدين أن للزواج دوراً عظيماً فى تحقيق الغاية التى خلق الله الخلق لأجلها وهى عبادته، وتكون بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. فيتحقق بالزواج السعادة فى الدارين : الدنيا والآخرة.

٤ - دخول الجنة بطاعة الزوج :

فمن النوايا الهامة أختاه عند الزواج أن يكون همك هو دخول الجنة بتحقيق أمر الله لك بطاعة زوجك فكما علمنا أختاه أن زوجك هو جنتك ونارك .

فسبيلك أختاه لدخول الجنة هو طاعتك لزوجك وإسعادك له واتخاذك كل السبل لإرضائه وتنفيذ أمر الله وأمر رسوله ﷺ بطاعة زوجك .

معرفة عظم حق الزوج على زوجته وجزاء قيامها بهذا الحق ودوره فى تحقيق السعادة الزوجية :

فمما يعينك حبيبتى على طاعتك لزوجك وتحقيق السعادة الزوجية وإسعاده أن تتذكرى دائما عظم حق زوجك عليكى ، فكثير من الزوجات تتهاون فى حق زوجها ولا تعيره اهتماماً وكأن إسعاده وطاعته من الكماليات فى الحياة الزوجية وليس هو الأساس فيها ، وقلما تنجح مثل هذه الزوجات فى إسعاد زوجها والقيام بحقه على أكمل وجه وذلك مما ينقص من درجاتها وقد يحول بينها وبين دخول الجنة عياذاً بالله، لذا أذكرك أختى ببعض ما جاء فى طاعة الزوج وإسعاده وبذل المرأة جهدها فى القيام

بحقه.

* قال رسول الله ﷺ : «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» وهذا مما يدل على عظيم حقه على زوجته.

* وقال ﷺ : «ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم - وذكر منهم : - وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط» .

* وقال ﷺ : «لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه».

وهذا الحديث مما يدل على أهمية الرجل في حياة المرأة وأنها لا تقوى على العيش بغيره مما يحتم عليها طاعته وتحقيق السعادة له .

* وقال ﷺ : «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها ، وحصنت فرجها ، وأطاعت زوجها قيل لها : أدخلي من أي أبواب الجنة شئت» .

* وقال ﷺ : «نساؤكم من أهل الجنة الودود الولود المؤود على زوجها التي إذا أغضبته جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها وتقول : لا أذوق غمضاً حتى ترضى» .

* وقال ﷺ : «والذي نفسي بيده ، ما من رجل يدعو امرأته إلى الفراش فتأبى عليه ، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها» .

* وقد رهب الرسول ﷺ النساء من عصيانهن لأزواجهن وكفرانهن بإحسانه إليهن فقال : «اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء ، يكفرن العشير، ولو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت : ما رأيت منك خيراً قط» .

* وفي رواية :«والذي نفسي محمد بيده لاتؤدي المرأة حق زوجها حتى تؤدي حق زوجها كله حتى لو سألها نفسها وهي على قتب[1] لم تمنعه» .

(١) أي على دابة.

* وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها : يا معشر النساء ! لو تعلمن حق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمى زوجها بخد وجهها .

فأنت ترين أختاه عظم حق الزوج عليك وذلك مما يحتم عليك التفكير ليل نهار فى كيفية إسعاده والحرص على نيل رضاه فى كل حين .

ومما يسهل عليك أختاه تنفيذ هذه الحقوق أيضا : تأملك لعظم الأجر. فلا جزاء لك أختاه بعد طاعتك لزوجك خير من رضا الله عز وجل والفوز بالجنة . فزوجك أختاه هو محطة ابتلاء وتقييم لمدى إيمانك وصحيح حبك له؛ لإرضاء الله عز وجل وطاعته سبحانه، فبمقدار نجاحك أختاه فى القيام بحقوق زوجك بمقدار ما تنالين الأجر الجزيل وبقدر تقصيرك فى القيام بهذا الحق يكون العقاب فى الدنيا والآخرة .

ولنتعرف سوياً أختاه على هذه الحقوق الواجب عليك القيام بها نحو زوجك منها :

معرفة حقوق الزوج على زوجته ومقومات السعادة الزوجية :

فللزوج على زوجته الحقوق العديدة وعلى المرأة معرفتها حتى لا تقصر فى القيام بأى منها كانت تخالف هواها ! ومن هذه الحقوق :

الطاعة فى المعروف : لا يحسن بك أختاه أن تطيعى زوجك فيما تحبين وتخالفينه فيما تكرهين لكن عليك القيام بحقوقه فيما تحبين وتكرهين ما دامت فى غير معصية فإنه : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الله » ولتحذرى أختاه أن تقومى بطاعته وأنت متبرمة متأففة بوجه عبوس تعلوه أمارات الكراهية، لأن هذه الطاعة ستكون كعدمها بلا أجر ولا ثواب ، ولكن تأملى عظم حقه عليك وعظم الأجر فى طاعته فإن ذلك سيكون خير معين لك على طاعته ، واعلمى أختاه أن طاعتك له من أقوى ما يربط بينكما ، ولله در من قالت : «كونى له أمة يكن لك عبداً » .

ترضية الزوج عند الغضب : فلابد أن تحافظ الزوجة على رضا زوجها عليها ولكى تحقق السعادة الزوجية فلا بد من ترضيته إذا غضب، فإن كان الخطأ منها تبادر

له بالاعتذار ولا تصغى لوساوس الشيطان فهو يسعى جاهداً لبث النزاع والتفرقة بين الزوجين ولتتذكرى قوله تعالى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الإسراء:٥٣] فتبسمك أختاه فى وجهه وعدم إعلاء صوتك (١) والحلم به وعدم الرد عليه بغليظ القول فى وقت غضبه يكون له جميل الأثر عليه ، وقد ترى بعض الزوجات أن الرد عليه وجداله هو السبيل لأخذ حقها ، ولكن والله يا أختاه حقك الأعظم تنالينه بالصبر عليه وقت غضبه وكظم الغيظ .

- احترام مشاعر الزوج : فالطريق الأيسر أختاه لتحقيق السعادة الزوجية هو معرفتك لطباع زوجك ومعرفة ما يحب وما يكره فلا يصح أن تكون الزوجة فى واد تفعل ما تهواه وما يروق لها دون الحرص على مشاعر زوجها وهو فى واد آخر. ونصيحتى لك أختاه أن يكون ما يشغلك منذ البداية مع زوجك هو التعرف على ما يحبه وما يكرهه لأن الطباع لا تتوافق فقد تفعلين شيئا ما تحسبين فيه إرضاء زوجك، ويكون فيه عدم إرضائه. ونذكر هنا قصة طيبة ترويها لنا أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما نتعلم منها أختاه ضرورة المحافظة على مشاعر الزوج واحترام طباعه. فتقول: لقيت رسول الله ﷺ يوماً ومعه أصحابه والنوى على رأسى فقال ﷺ : « إخ إخ » لينيخ ناقته ويحملنى خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، وكان أغير الناس فعرف رسول الله ﷺ أنى قد استحييت، فجئت إلى الزبير وحكيت له ما جرى فقال: والله لحملك النوى على رأسك أشد على من ركوبك معه.

فهذه الرواية أختى تدل على ما يجب على الزوجة من احترام مشاعر زوجها ، فالسيدة أسماء رضى الله عنها تعلم من زوجها الزبير رضى الله عنه شدة غيرته فاحترمت ذلك وفضلت إجهاد نفسها وحملها ما لا تطيق على عصيان زوجها وعدم احترام مشاعره .

---

(١) واعلمى أختاه أن الصوت العالى يضيع حقك ، وهو من أعظم الأمور التى تثير الرجل فلا تكونى عوناً للشيطان على زوجك .

- المحافظة على أموال الزوج : وذلك مما يحقق السعادة للزوج بأن يجد زوجته تحافظ على ماله ليبارك الله لهما فيه ، فلا تكلفه ما لا يطيق ولا تنفقه وتضيعه فى شئون الدنيا وزخارفها ، ونجد من النساء من تستغل كل ما ينعم الله على زوجها من مال فى تجديد أثاث البيت وشراء الحديث منه ومما لا ضرورة فيه وهذا ما لا يرضاه الله عز وجل ، بل على الزوجة التقية أن ترشد زوجها إلى الحفاظ على ماله ونفقته فيما يرضى الله عز وجل ومن ذلك :

* أن ترشده لبر والديه بهذا المال وإرضائهما وإدخال السرور على قلبهما ، ولا يصح للمرأة المسلمة أن تغضب إذا علمت أن زوجها ينفق من ماله على والديه ولا تنسى قول الله عز وجل: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقد يكون بإنفاقه هذا على أبويه السبب فى تحقيق السعادة الزوجية ونيل رضا الله عز وجل.

* أن ترشده للتصدق من ماله على اليتامى والفقراء مما يعود بالخير عليهما وعلى بيتهما المسلم ولتذكر قول النبى ﷺ : « ما نقص مال من صدقة » ، ومما يجب التنبيه عليه هنا حديث النبى ﷺ : « ليس للمرأة أن تنتهك شيئا من مالها إلا بإذن زوجها » فلا يجوز لك أختاه التصدق من ماله أو حتى من مالك بغير إذنه بل لابد أن تخبريه بذلك حتى تنالى رضا الله عز وجل .

- شكر الزوج والوفاء له : ومما يحقق السعادة الزوجية أختاه شكرك لزوجك ولفضله عليك ولو قدم لك القليل ، فلا تنتظرى منه الهدية أو العطاء الوفير كى تشكريه بل عليك بشكره دائما بالقلب واللسان والبسمة الطيبة وإن لم يقدم لك شيئا.

واحذرى أختاه فإن من أسباب دخول النساء النار : أنهن يكفرن العشير كما جاء فى حديث النبى ﷺ ، وعليك أختاه أن تكونى وفية لزوجك ، وذلك بأن تشاركيه فى السراء والضراء وأنت راضية فلا تتضجرى ولا تفارقيه إن أصابته ضراء فى ماله أو بدنه وتظلى تشاركينه وتقاسمينه الحياة فى مرها كما تقاسمتيها معه فى حلوها وقد

قيل: « خير النساء المبقية على زوجها » فهي تؤثر راحته على راحتها »(١) .

– **التوسط والاعتدال فى مطالب الحياة** : فمما يحقق السعادة الزوجية أختاه أن يكون هم الأسرة هو الوصول لرضا الله عز وجل ليس همها نيل متاع الدنيا فقط . وعليك أختاه ألا ترهقى زوجك فيما لا يطيق وأن تغضي طرفك عن هذه الدينا ومتاعها وترضي من زوجك بما رزقه الله فلا بد من القناعة بالقليل .

– **عدم إفشاء سره** : فكما قال عز وجل ﴿ لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ [الروم:٢١] فمن أهم ما يجب أن يتوفر لديك أختاه تحقيق السكن لزوجك، وأن تكونى بحق ملجأ وموضع سره ، فالزوج يجد السكن مع زوجته خصيصاً كلما أعانته على ذلك ووفرت له سبل السعادة والهناء، وكانت أمينة على سره أكثر مما يجده مع أقرب الأشخاص إليه، فيجب عليك أختاه أن يجد منك زوجك الثقة والطمأنينة ليحكى لك كل ما يدور بداخله مما قد يؤلمه ويحول بينه وبين القيام بكثير من الواجبات . ولنذكر فى هذا المقام أختاه حديث النبى ﷺ حيث قال : « **إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه** » وهذا مما يدل أختاه على ضرورة محافظتك على سر زوجك فقد تجد بعض النساء اللذة والمتعة فى إفشاء سر زوجها وعدم الحفاظ عليه مما يسبب له عدم الطمأنينة إليها ، وبالتالى يقدح مثل هذا الأمر فى تحقيق السعادة الزوجية بينهما .

– **المناصحة والحض على الطاعة** : وهى من أعظم الأمور أختاه التى أهمس فى أذنك بأهميتها وهى حض زوجك على الطاعة ، فقد تعتقد بعض النساء أن واجب النصيحة على الزوج فقط وتتحجج بالآية الكريمة ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ !!

نعم أختاه إن على زوجك القوامة فى كل أمر ، لكن هذا لا يمنع أن عليكى دوراً عظيماً تجاه زوجك فى إعانته على دينه والقيام بطاعة الله لأنه كما قال النبى ﷺ : «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** » فأنت راعية فى بيت زوجك مسئولة عنه وعن

(١) من كتاب « الزوج والحياة الزوجية » لصالح عبد الغنى محمد .

تقدمه فى الطاعة ولتتذكرى قوله عز وجل : ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ [المدثر: ٣٧] فلتحرصى أختاه دائما أن تكونى وزوجك من المتقدمين فتحضينه على الخير وتذكرينه إن وجدتى منه الفتور وذلك ليس بالزجر والتهكم الذى ينفره ويحول بينه وبين قبول نصيحتك لكن بالتذكرة الطيبة والتحبيب فى الجنة وتشويقه لرضا الله عز وجل مما يلجأ إلى سماع نصحيتك والعمل بها بلا كبر أو رد الحق .

ومما يؤكد مسئولية كلا منكما تجاه الآخر قوله ﷺ : « رحم الله امرءاً قام من الليل فصلى فأيقظ امرأته فإن أبت نضح على وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت فأيقظت زوجها فإن أبى نضحت فى وجهه الماء » .

- حسن معاملة أهله : فمن أعظم الأمور أختاه التى تسعدين بها زوجك وترفعك فى نظره هو التودد إلى أهله والتحبب إليهم وإخلاص المعاملة لهم ، فلا تنسين أختاه أن أهل زوجك هم أقرب الناس إليه وأنه تربى ونشأ بينهم وظل لفترة غير قصيرة ما يشغلهم يشغله وما يؤلمهم يؤلمه وكان بينهم مكان فرحه وحزنه وتربيته ونشأته ، وخصوصاً والده وأمه فهما السبب أختاه الذى منه نشأ وترعرع ولولاهما ما جاء لهذه الدنيا ، فعليك بالتودد إليهم واحترامهم وبذل الوسع فى إسعادهم ، ولكن كثيراً من النساء تضع من الوهلة الأولى فى ذهنها أن والدى زوجها هما العقبة الكؤود فى طريق سعادتها مع زوجها مما يجعلها تتكلف فى معاملتهما وقد تصغى لوساوس الشيطان فى محاولات إبعادهما عن طريقه وهذا لا يرضى الله ورسوله ﷺ ومما يسبب الشقاوة بينهما وبين زوجها ، فأذكرك أختاه بأن من أعظم أسباب تحقيق السعادة الزوجية هو المحافظة على أهل زوجك وأن يشعر منك بتعظيم مكانتهم واحترامهم والحرص على وصول الخير لهم.

وقد حكى الإمام ابن الجوزى رحمه الله عن عابدة : كانت تقول لزوجها : أقسمت عليك ألا تكسب معيشتك إلا من حلال » وأقسمت عليك أن لا تدخل النار من أجلى ، بر أمك وصل رحمك لا تقطعهم فيقطع الله بك .

فعليك أختاه بحضه على بر أهله والإحسان إليهم وأن ينفق من ماله فى إرضائهم

والعناية بهم محتسبة ذلك عند الله فلعله ببرهم والعطف عليهم يكون رضا الله عز وجل عليكما وتتحقق السعادة الزوجية لكما .

– حسن الخلق مع الزوج : فمن أهم ما يحقق السعادة الزوجية أختاه هو حسن الخلق فلابد أن تنتقي أفضل الكلام لزوجك وتعامليه بأحسن المعاملة وتبذلي الوسع في اختيار أفضل الأساليب لتعامليه بها ويعينك على ذلك دعاء الله عز وجل بأن يوفقك لذلك ، ومن أحاديث النبي ﷺ التي تحض على حسن الخلق قوله ﷺ : «لم يعط العبد بعد الإيمان بالله تعالى – شيئا خيراً من امرأة حسنة الخلق» .

فاحرصي أختاه على حسن الخلق مع زوجك لتفوزي بهذا الخير ، واحذري أن تحسني خلقك مع الناس وتسيئنه مع زوجك ، لأن هذا من كفران العشير الذي حذر منه رسول الله ﷺ ولتتذكري أختاه أن الحياة مليئة بالأكدار والمتاعب وقليل من أيامها يصفو لأهلها وأن زوجك يتحمل الأعباء ويواجه الكثير من أجل بيته فعليك أن تحرصي دائما على إدخال السرور على قلبه بالكلام الطيب ، ولا تختاري إلا الأخبار السارة التي تزيل عنه هذه الهموم والمتاعب ولتقتدي في ذلك أختاه بأم سليم الصحابية الجليلة التي كان لديها الحرص التام على إسعاد زوجها أبي طلحة وكان زوجها في «سفر ولشدة حرصها على إسعاده وعدم نقل أي شيء إليه إلا الأخبار السارة، استقبلت زوجها بالتزين والتطيب والبسمة الحانية حتى استراح من متاعب السفر لدرجة أنه قد جامعها وهي تعلم بموت ولدها ثم أخبرته بعد كل هذا الأمر ، فلتقتدي أختاه بمثل هذه الأمثال الحية التي تعيش على إسعاد الزوج والحرص على مرضاته .

– التزين للزوج : وهذا الأمر أختاه من أهم الأشياء أن يراكِ زوجة جميلة في كل حين فلا تنهمكي في أعباء البيت والأولاد وتنسي مظهرك لأنه مما يسعد زوجك ويحقق له الراحة النفسية ؛ لذا جعل الله عز وجل الزينة حقاً مشروعاً لك أختاه وبين أن من فطر النساء التزين كما في قوله ﴿ أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ ﴾ فالنساء تتميز بالزينة والتزين وجمال الهيئة ، كما أن للزينة أختاه الدور الهام في إعفاف زوجك وتحقيق الراحة النفسية له ، لأن الزينة أختاه منك لزوجك تزيل الهموم وتشرح الصدر وتجعل

منك متعة لذيذة شيقة لزوجك فيستغنى بك عن غيرك فتعفيه بالحلال عن الحرام ولنذكر فى هذا المقام حديث النبى ﷺ قال : « **ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء ؟** المرأة الصالحة : **إذا نظر إليها زوجها سرته، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته**» .

- حسن **الاستقبال وطلاقة الوجه** : فمما يسعد زوجك أختاه حسن استقباله عند **عودته** وإبداء الاهتمام به والشوق الشديد إليه وكأنه مر زمن على بعد كل منكما عن الآخر ، ولا شك أن البسمة الحانية لها دور هام فى بث الراحة والطمأنينة فى نفس زوجك ، ولذا قال ﷺ : « **لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»، كما أنه فى تبسمك وطلاقة وجهك لزوجك أختاه الأجر الكثير كما قال النبى ﷺ : « **وتبسمك فى وجه أخيك صدقة** » ، وقال ﷺ : « **ثلاث يصفين لك ود أخيك تسلم عليه إذا لقيته وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه** ».

وتعلمى من هذه الآداب النبوية الكريمة أختاه كيف تسعدين زوجك وتحسنين استقباله ومعاملته ، وهو بهذا لا ينسى أبداً هذا الوجه الجميل الذى طيب خاطره وأحسن استقباله واهتم به فتكون صورتك دائما ذكرى جميلة فى قلبه ، وقد نهى النبى ﷺ الرجل إذا كان فى سفر أن يطرق أهله ليلاً وذكر فى ذلك بقوله : «**حتى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة** » وهذا الهدى النبوى أختاه يدل على حرص الدين على أن تبدو الزوجة دائما فى أبهى هيئة لأن ذلك مما يحقق الاستقرار والسعادة لزوجها.

- **الإعفاف** : فللزينة والتجمل أختاه دور هام فى إسعاد زوجك كما أن هناك أمرا آخر عليك الحرص عليه ألا وهو كما قال النبى ﷺ : « **والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها** » وقال ﷺ : « **إذا الرجل دعى زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور** » فللرجل شهوة أختاه تحقق له السعادة والطمأنينة بإشباعها وقد جعلها الله عز وجل بحكمته سبباً لالتقاء الزوجين واحتياج كل منهما للآخر وخصوصاً الزوج فعليك بالتفنن والاهتمام البالغ بإشباع هذه الرغبة لزوجك حين ترين حاجته إليها ولا تكدريه وتضايقيه برفضك أو تحججك بالتعب والإرهاق ، فإن ذلك مما يجعله ينفر

منك ويحمل في نفسه الغضب عليك وقد سمعت أختاه وصية النبي ﷺ والتي تدل على ضرورة احترام هذه الرغبة في زوجك وإعانته على إشباعها بلا سخط أو ضيق منك ليكون لذلك أعظم الأثر في نفسه لتحقيقك له السعادة والهناء والاستقرار.

- شكر الصنيع والاعتراف بالجميل :فقد قال الله عز وجل : ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴾[الرحمن: ٦٠] وليكن شعارك أختاه لزوجك : تقديره وشكره على أقل الأشياء ، وقد روى الأثر : « خير النساء إذا أعطيت شكرت ، وإذا حرمت صبرت».

فشكرك له أختاه على ما يقدم إليك من خير ولو كان قليلا مما يزيد من إعزازه لك ويحقق له السعادة ، فعليك أن تقابلي إحسانه إليك وصنيعه الطيب بالشكر والتقدير والثناء الحسن والذكر الجميل وقد قال ﷺ: « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » (١) وزوجك أختاه هو أولى الناس بالشكر والإحسان إليه بذلك ، فلا تنسى أختاه أن زوجك هو الذى ستر عرضك وأعفك بالحلال عن الحرام ، وهو الذى ينفق عليك ويتحمل المشاق من أجلك لتوفير السكن المريح وإطعامك وكسوتك وكل ما تحتاجين إليه .

- بيتك وإسعاد زوجك :لقد قال عز وجل : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾[الروم: ٢١] فلتنتبهي أختاه أن من أهم ما يجب أن يشعر به زوجك هو السكن والطمأنينة وهي من أهم ما يسعد زوجك فبيته هو السكن والمأوى ومكان راحته فعليك أن يكون اهتمامك أختاه هو إصلاح بيتك المسلم وجعله سكنا لزوجك ليستريح فيه من أعباء الهموم والمشاغل والأكدار التي يعاني منها وكلما بالغت في إصلاح بيتك وتهيئته كلما كان ذلك سببا لتحقيق السعادة لزوجك ، ولذا فإني أنصحك أختاه أن تحرصي على عدة أشياء هي بدورها تحقق السعادة لزوجك

(١)حديث صحيح أخرجه أحمد وغيره عن أبي سعيد وصححه الألباني في الجامع (٦٥٤١) والصحيحة (٤١٧).

وعليك أن توجد فى بيتك:

١- بيتك يا أختاه والتميز: فلتحرصى أن يتميز بيتك عن غيره من باقى البيوت وأن تجتهدى فى أن يرى فيه زوجك ما لا يراه فى غيره من حسن الهيئة والسكينة والتأدب بالآداب النبوية وغير ذلك ، وأترك لك المجال فى هذا لتبحثى عن التميز الذى قد لا يجده زوجك فى بيوت أخرى كثيرة .

٢- النظام: وهو من المقومات التى تميز بيتك وتسعد زوجك فاحرصى أختاه دائما على تنظيمه وترتيبه بحسب ما تجدينه يروق لزوجك ويبهجه وإن كان الأثاث بسيطاً ، فبذوقك الرفيع واختيارك للألوان الجميلة البسيطة من الزهور قد يكون له أكبر الأثر فى نفس زوجك ، وليكن النظام أختاه فى كل شىء فى ترتيب الأثاث ، والأهم من ذلك فى مواعيد الصلاة والطاعات والنظام فى النوم والاستيقاظ، وفى ترتيب الأعمال والزيارات وغيرها ، ولك أكبر الدور فى هذا أختاه وعليك العبء الأكبر فى تحقيق ذلك .

٣- الهدوء: ويتأتى ذلك بحسن الخلق ، والتكلم برفق ولين ، ولتذكرى قول الله عز وجل ﴿ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٩] ولتخفضى صوتك أختاه عند التحدث مع زوجك حتى وإن كان بك الضيق والضجر، لأن رفع الصوت يخالف الآداب التى أمر بها الله ، ولأن علو صوتك عليه من أهم الأمور التى تدخل الشيطان بينكما ، وتزيد من العداوة والشحناء بينكما ، فاحرصى على الهدوء والسكينة لتسعدى زوجك وتكونى له خير زوجة .

٤- النظافة : من أهم ما يسعد زوجك أختاه أن يرى كل مكان فى بيتك طاهراً نظيفاً ، وهذا يهيئ له العمل والإنجاز ، وقد أمر النبى ﷺ بتنظيف البيت ، وحث الزوجات على ذلك فقال: «نظفوا أفنيتكم ، فإن اليهود والنصارى لا ينظفون أفنيتهم» كما أن لمظهر زوجك الدور الهام أختاه ، فكلما وجد منك الاهتمام بهيئته فتقومين بتنظيف ملابسه وكيها ، والاهتمام بها فإن ذلك مما يسعده ، ويكون لك عظيم الأجر فى ذلك ولتتذكرى أختاه قوله سبحانه ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف:

[٣١] فليكن لك أختاه الحظ من الأجر فى معاونة زوجك على ذلك .

* وقد أوصت أم ابنتها عند زواجها ، فقالت لها : « أى بنية ، ولا تغفلى عن نظافة بدنك، فإن نظافته تضىء وجهك وتحبب فيك زوجك ، وتبعد عنك الأمراض والعلل ، وتقوى جسمك على العمل ، فالمرأة التفلة تمجها الطباع وتنبو عنها العيون والأسماع » .

فلتحرصى أختاه على نظافة نفسك وزوجك وبيتك لتفوزى بإسعاد زوجك .

- **أسباب العجز عن إسعاده** : أختاه قد تفشل الزوجة فى إسعاد زوجها ولا يكون لها الحظ الوفير فى إرضائه وإصلاح حياتها الزوجية ، وذلك مما لا شك فيه يكون لعدة أسباب ، لابد من التنبيه عليها لتتفاديها فى إسعاد زوجك ، ومنها :

١ـ التقصير فى طاعته وعدم الحرص عليها : فمما يعجزك أختاه عن إسعاد زوجك : هو عدم مراعاتك لحقوقه عليك ، وعدم معرفة عظمة هذه الحقوق ، وأن عدم القيام بها قد يؤدى بك إلى النار ، فعليك أختاه تذكر أوامر الله عز وجل وأن تطيعى زوجك مهما ثقلت عليك هذه الطاعة ابتغاء مرضاة الله ، وعليك كذلك احترام أوامر الرسول ﷺ ولتذكرى قوله عز وجل : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧] فلزوجك عليك أختاه عظيم الحق، فعليك القيام به حتى تفوزى بإسعاده ومرضاته عليك لتنالى خيرى الدنيا والآخرة .

٢- عدم معرفة طباعه وعدم الحرص على مشاعره : فعجزك أختاه فى التعرف على الطباع الخاصة بزوجك وتنبهك لما يحب وما يكره يحول دون تحقيق السعادة له ، فلكل إنسان طباع فيجب عليك معرفة طباعه حتى وإن كانت تخالف طباعك ، ولا تتجاهليها لأن منها يمكنك الدخول إلى قلب زوجك ، وفى هذا أسوق إليك أختاه قصة زواج القاضى شريح :

* قال القاضى شريح : تزوجت امرأة صغيرة فلما بنيت بها . قالت : عرفنى خلقك لأعمل على مداراتك. فقلت لها : أحب كذا وأكره كذا ، ونحن جميع فلا تفرقى ، وما رأيت من حسنة فانشريها ، وما رأيت من سيئة فاستريها . ثم قالت :

كيف محبتك لزيارة الأهل ؟ قلت : ما أحب أن يملني أصهارى ، قالت : فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك آذن له ومن تكرهه أمنعه ؟ قلت : بنو فلان صالحون وبنو فلان قوم سوء . قال : ومكثت معى لا أرى منها إلا ما أحب (١) .

وعندما سئل عن حال زوجته أختاه فقد قال : (خير زوجة) .

وهذا دليل أختاه على أهمية معرفتك لطباع زوجك وحرصك على مشاعره مما له أكبر الأثر فى إسعاده .

- عدم غض الطرف عن الهفوات والأخطاء : وقد قال القائل :

من ذا الذى ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

فلتلتمسى أختاه لزوجك الأعذار ولتغضى طرفك عن هفواته وأخطائه مهما زادت أو تكررت ، ولتكتفى بالنصيحة الطيبة والتذكرة الربانية التى تسمو بالنفس وتعينه على التنبه لأخطائه والحذر منها ، ولا تكثرى من اللوم والعتاب ، وقد قال سبحانه : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] بلى أختاه نحب أن يغفر الله لنا وذلك بالعفو عن الآخرين ، وخصيصاً الزوج حتى يحترم ذلك منك ويعفو عنك إن أخطأت فى حقه .

- الغيرة غير المنضبطة: فالغيرة أمر جبلى فطرى وهو من أجمل ما يتميز به كلا الزوجين كما أنها من الأشياء التى تسعد زوجك عندما يجدك تغيرين عليه ، وهو يراه دليلا على حبك الشديد له ، ولكن احذرى أختاه أن تتحول هذه الغيرة إلى شك يزيل المظهر الجمالى لهذه الغيرة وينغص عليك وعلى زوجك حياتكما ، فعليك بالثقة فى زوجك واحترامه طالما أنك تعرفين منه حرصه على طاعة الله وحفاظه على حدوده عز وجل ، وقد تؤدى هذه الغيرة عند كثير من النساء إلى تضيع مال زوجها، فتطلب منه أن ينفق كل ماله عليها وعلى البيت وفى الأثاث الكثير والبزخ والترف خشية أن يتزوج بغيرها ، أو غير ذلك مما يرهق الزوج ويكدر عيشه ، لكن عليك أختاه لكى

(١) ولتراجع القصة بأكملها من كتاب : (آداب الحياة الزوجية) للشيخ خالد عبد الرحمن العك (ص ١٢٧) .

تضبطى هذه الغيرة ويكون عندك الثقة فى زوجك عليك أن تذكريه دائما بغض البصر، كما قال سبحانه : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النور: ٣٠] وتذكريه بكثرة ذكر الله والخشية منه ، وذلك مما يزيد قدرك عند زوجك ويحقق لكما السعادة والهناء.

- سوء التعامل مع المشكلات : لتعلمى أختاه أن البيت لا يخلو من المشكلات فلتكونى دائما على تنبه لذلك ، وخصيصا أختاه أن الشيطان ـ عليه لعائن الله ـ يحاول بكل وسائله التدخل بين الزوجين ويحرص كل الحرص على التفرقة بينهما وبث الخلاف والشحناء بينهما ، فلتعلمى ذلك أختاه ، ولتذكرى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر: ٦] وقوله سبحانه : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٥٣] فلا بد أختاه من وجود المشاكل وعليك الدور الأكبر فى إخماد نار هذه الخلافات أو إشعالها وتفشيها ، فزوجك كالطفل قد تسيئين التصرف عند حدوث أمر ما فتفجرى المشكلة ويزيدها علو صوتك على زوجك ، فهو جند من جنود إبليس يزيد الخلاف ، ويغضب عليك حتى ولو كنت محقة ، وأذكرك أختاه عند نشوب الخلاف بينك وبينه أن تصمتى ولا تبادليه بالكلام حتى يهدأ وتستقر حالته .

ولابد أختاه من تذكر هذه الأمور عند وقوع المشكلات :

- الستر : فلا يعلم أحد بما دار بينكما أختاه ولو أقرب الناس إليك ، لأنه لابد وأن ذلك يزيد من حدة الخلاف بينكما .

- مراجعة النفس : قبل أن تتخذى أى خطوة وتتبعى أهواء الشيطان .

- التروى والحكمة : لابد منها أختاه عند حدوث أى مشكلة وعدم التسرع فى القرارت ولقد حدث لأحد الأزواج خلاف مع زوجته ، أثار غضبها وطلبت منه الطلاق بقوة وإلحاح ، فطلب منها أن تأتى بورقة وقلم ليكتب ما تريد ، فجاءت بهما، فأشار عليها أن يوجل الكتابة إلى الغد ، فوافقت فما أشرقت شمس الغد عليه

إلا ونور الوفاق صار بينهما ، وذلك مما يدل على أهمية التروى والحكمة [١] .

- التكيف : وهو حملك أختاه نفسك على التأقلم مع زوجك ومراعاة اختلاف طبيعتة وطريقته فى التعامل وخصوصاً فى بداية الحياة الزوجية بينكما ، فلا تنفرى من طباعه ، بل عليك بالتعايش معها والحرص على مراعاتها، ومع الوقت قد تستطعين تغييرها إن كان فيها ما لا تستطعين الوفاق معه [٢] .

استشارة ذوى العقول وأهل الاختصاص [٣] : فعليك أختاه دائما بطلب النصيحة ممن يتميزون بالفقة والحرص على طلب العلم ، لأن عندهن ستجدين الراحة والكلام الطيب الذى يعينك على طاعة زوجك ويوجهك إلى الآداب التى عليك أن تتبعيها عند حدوث مشكلة .

* ولتصغى إلى نصيحة هؤلاء : وأخيراً أختاه فإنى أقدم لك باقة من النصائح الطيبة لبعض الصالحات تعينك على إسعاد زوجك وتحقيق السعادة الزوجية والفوز بخيرى الدينا والآخرة ونذكر منها أختاه :

* أوصت إمرأة عوف بن محلم الشيبانى ابنتها عند زفافها إلى ملك كندة فقالت لها: أى بنيه إنك قد فارقت بيتك الذى منه خرجت ، وعشك الذى فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكونى له أمة يكن لك عبداً ، واحفظى له عشر خصال يكن لك ذخراً : أما الأولى والثانية : فالصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، وأما الثالثة والرابعة : فالتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح ، والكحل أحسن الحسن ، والماء والصابون أطيب الطيب، وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت طعامه والهدوء عند منامه، فإنه حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة، وأما السابعة والثامنة : فالعناية ببيته وماله، والرعاية لنفسه وحشمه وعياله، وملاك الأمر فى

(١ ، ٢) من كتاب « مقومات السعادة الزوجية » لناصر سليمان العمر .

(٣) من كتاب « مقومات السعادة الزوجية » لناصر سليمان العمر .

المال حسن التدبير ، وأما التاسعة والعاشرة : فلا تفشى له سراً ، ولا تعصى له أمرا، فإنك إن أفشيت سره لم تأمنى غدره ، وإن عصيت أمره أوغرت صدره ، ثم اتقى مع ذلك الفرح إن كان ترحاً [١] ، والاكتئاب إن كان فرحاً ، فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير، وكونى أشد ما تكونين له إعظاماً ، يكن أشد ما يكون لك إكراماً، وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما يكون لك موافقة، واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحب وكرهت » والله يخير لك ».

* وأوصى أخ أختا له عند زواجها وقد فقدت والديها قائلا :

« أختى كل المهابة والإجلال والخوف والحب الذى يظهر منك لنا ، عليك أن تحوليه إلى زوجك، فله أعظم الإجلال والمهابة والحب والخوف كذلك » [٢] .

* وأوصت أم ابنتها ليلة زفافها قائلة : لا أريد أن أخدعك يا ابنتى ،فاعلمى أن حلاوة الزوجية تنتهى بنهاية الشهر الأول الذى لا تزال فيه الحقائق والأوهام غالبة فى تخيلات تلك الصبوة ، فإذا تمنيت مزيداً من الحلاوة فى حياتك الزوجية فعليك بالنصائح والإرشادات الآتية :

١- اجتهدى أن تنمو فيك السجايا التى حببتك إلى زوجك، وجعلتك عزيزة فى عينه يوم كنت آنسة، ولا تظنى أنك وقد صرت زوجة يجوز لك أن تغيرى مظاهرك السابقة ، واذكرى دائما أن وظيفة الزوجة لا تبتدئ وتنتهى فى مخدعها .

٢- لا تسلمى لأحد فى دعواه أنه يفهم زوجك أكثر منك ، حتى ولا لأمك التى هى أنا ، ولا تصغى للذين ينتقدون زوجك بحجة النصح له والغيرة عليه ، فإنهم أعدى أعدائك .

٣- لا تعظمى المصائب فى بيتك ولا تستسلمى للحزن والأسف بعد وقوع النازلة

---

(١) أى : حزيناً .

(٢) من كتاب « آداب الحياة الزوجية فى ضوء الكتاب والسنة » للعك .

يكفى زوجك جهاده خارج المنزل ، فعليك أن تخلقى السرور له داخل البيت، فبشى له على أى حال ، واستقبليه بكل ابتسامة تنبئ عن متسع الأمل ، وتحيى الرجاء فى النفس .

٤- تحاشى أن تستطلعى أسرار ماضى زوجك ، فإن ماضيه انقضى ومضى، ولا تنسى أن زوجك إنسان لا ملاك .

٥- ارفقى بجيب زوجك ، فلا تستنفدى نقوده لاقتناء الحلى والحلل ، والكساء البسيط بهندام حسن يدل على سلامة ذوق السيدة ونبلها.

٦- احترمى عواطف بعلك، وتلمسى مواضع حاجاته، وبادرى إلى قضائها قبل أن يطالب بها ، وحببي إلى نفسه حرفته ، فإن كان من أهل الأدب مثلا فرتبى أوراقه ومكتبه ونظفى أقلامه وأدواته بنفسك .

٧- لا تطلعى صديقة لك على شيء من دخائل منزلك مهما بلغت منزلتها عندك ولا سيما ما يتعلق منها بعيب أو نكبة .

٨- حينما تجلسين إلى المائدة اجتهدى أن تكونى فى أوضح مظاهر البهجة والسرور ، لأن الوجه العابس يعوق الهضم ويفسده وفساده داع إلى اعتلال الصحة .

٩- كونى للزوجات نموذجا صالحا ، فأحبى وشجعى وعزى واحتملى وسامحى واحترمى ترى نفسك في السبيل الذى يفضى بالزوجة إلى السعادة والهناء والعيش فى ظلال الراحة والرخاء .

وهكذا أختاه نجد الكثير من النصائح السابقة ودورها فى إسعاد الزوج والعيش حياة طيبة ترضى الزوج وترضى الرب عز وجل، لتحرصى عليها ولتكن دأبك منذ اللحظة الأولى.

فما تقولين أختاه فى زوجك الذى ترك كل النساء واختارك أنت ؟

وما تفعلين به وقد ترك الوالدين والأهل والأصدقاء ، ولم يرض أليفاً ولا أنيساً

له غيرك؟

وما حرصك أختاه على بيتك وبيته وعرضك وعرضه وبيته لك ؟

وما صنعت أختاه لزوجك في نفسك وشياطين النساء رافلات في الزينة خارج البيت يفتن زوجك ؟

احذري أن تصفي رجلاً بحضور زوجك

احذري أختي المسلمة أن تشعلي غيرة زوجك عليك ، بأن تمتدحي رجلا أمامه أو تصفي أجنبيا في حضوره أو تبدي إعجابك برجل في ملبسه أو حديثه أو قوته أو حسن رأيه وعقله .

وأشد من ذلك حديثك عن زوجك السابق إن كنت تزوجت قبله حتى ولو كان قد توفاه الله فالرجل يُكِنُّ ذلك عادة . . . لأن الرجل يعتقد أنه في نفسك أفضل رجل ، وأحسن الناس . . .

اشكري زوجك على ما يقدمه لك

فقد أرشدك سيد البشر ﷺ إلى هذا الطريق الطيب ؟ فقال ﷺ : « **إن الله لا ينظر إلى امرأة لا تشكر لزوجها ، وهي لا تستغني عنه** » [1] .

احذري الثرثرة

فالمرأة المسلمة المثالية هي التي تعرف متى تتكلم ومتى تصمت « تعرف مواضع الكلام ومواضع الصمت وتعرف أن اللسان نعمة عظيمة من نعم الله عليها ، فإنه عضو صغير وجرمه عظيم ففي الحديث : « **وهل يكب الناس في النار على مناخيرهم إلا حصائد ألسنتهم** » [2] وفي الحديث : « **ألا أنبئكم بشراركم ، الثرثارون**

(١) رواه البزار بإسنادين أحدهما رجاله رجال الصحيح (٤/ ٣٠٩) ورواه الحاكم (١/ ١٩٠)، وصححه وأقره الذهبي .

(٢) رواه أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه (٢/ ٤١٣) .

والمتشد قون » [١].

هل تبحثين عن وظيفة؟

إن أفضل وأحسن وظيفة للمرأة أن تربى أولادها بنفسها ولا تتركهم للخدم أو للشارع أو لـيد غير يدها وهذه أفضل مهمة لها من مهام بناء المجتمع الإسلامى ورسولنا محمد ﷺ قال: «والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها» [٢] والأم المثالية هى القادرة دون غيرها على تربية أبنائها تربية جسدية وعقلية ونفسية مستقيمة، فهى المدرسة التى سيتخرج منها الولد وصدق الشاعر الحكيم حين قال :

الأم مدرسة إذا أعددتها   أعددت شعبا طيب الأعراق
الأم روض إن تعهده الحيا   بالرِّىِّ أورق أيما إيراق
الأم أستاذ الأساتذة الألى   شغلت مآثرهم مدى الآفاق

فهى فى تحمل المسئولية كالأب سواء بسواء بل مسئوليتها أهم وأخطر وهى التى تفى بحاجاتهم الواجدنية التى لا يمكن إشباعها إلا فى جو تحيطه بحنانها وعطفها .

يقول الشيخ محمد إسماعيل المقدم فى عودة الحجاب :

لا تكاد تقف على عظيم فيمن راضوا شمس الدهر وذلت لهم نواصى الحادثات إلا وهو ينزع بعرقه وخلقه إلى أم عظيمة وكيف لا يكون ذلك والأم المسلمة قد اجتمع لها من وسائل التربية ما لم يجتمع لأخرى ممن سواها مما جعلها أعرف خلق الله بتكوين الرجال والتأثير فيهم والنفاذ إلى قلوبهم ، وتثبيت دعائم الخلق العظيم بين جوانحهم وفى مسارب دمائهم .

---

(١) رواه أحمد فى مسنده بإسناد صحيح .

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزى .

الأم صانعة الرجال

فالزبير بن العوام : قامت بأمره أمه صفية بنت عبد المطلب ، فنشأ على طبعها وسجيتها ، ومن العظماء عبد الله والمنذر وعروة أبناء الزبير ثمرات أمهم أسماء بنت أبى بكر وما منهم إلا له الأثر الخالد والمقام المحمود .

وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه تنقل فى تربيته بين صدرين من أملأ صدور العالمين حكمة وأحفظها بجلال الخلال فكان مغداه على أمه فاطمة بنت أسد ومراحه على خديجة بنت خويلد زوج رسول الله ﷺ وعبد الله بن جعفر سيد أجواد العرب وأنبل فتيانهم وقد تركه أبوه فتعاهدته أمه أسماء بنت عميس ولها من الفضل والتبل ما لها.

ومعاوية بن أبى سفيان أريب العرب ورث عن هند بنت عتبه ما لم يرث عن أبى سفيان وهى القائلة وقد قيل لها ومعاوية وليد بين يديها : إن عاش معاوية ساد قومه ثكلته إن لم يسد إلا قومه .

وكان معاوية إذا نوزع الفخر بالمقدرة وجوذب بالمباهاة بالرأى انتسب إلى أمه فصدع أسماع خصمه بقوله : أنا ابن هند .

وأبو حفص عمر بن عبد العزيز أورع الملوك وأعدلهم وأجلهم أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب - رضى الله عنهم - وليس لها ما تعتز به من نشب ونسب إلا ما جرى على لسانها قول الصدق فى نصيحتها لأمها وهى التى نزعت به إلى خلائق جده الفاروق.

والأمير عبد الرحمن الناصر الذى ولى الأندلس، وهى ولاية تمد بالفتن وتشرق بالدماء فما لبث أن قرت له وسكنت لخشيته، ثم خرج فى طليعة جنده فافتتح سبعين حصنا فى غزوة واحدة ثم أمعن بعد ذلك فى قلب فرنسا وتغلغل فى أحشاء سويسرا وضم أطراف إيطاليا حتى ريض كل أولئك له ورجف لبأسه.

وبعد أن كانت قرطبة دار إمارة يذكر الخليفة العباسى على منابرها وتمضى باسمه أحكامها وأصبحت مقر خلافة يحتكم إليها عواهل أوروبا وملوكها ويختلف إلى

معاهدها علماء الأمم وفلاسفتها.

أتدرى ما سر هذه العظمة ؟ إنها المرأة فقد نشأ عبد الرحمن يتيمًا، قتل عمه أباه فتفردت أمه بتربيته، وإيداع سر الكمال وروح السمو فى ذات نفسه فكان من أمره ما علمت.

وسفيان الثورى وما أدراك ما سفيان الثورى إنه فقيه العرب ومحدثهم وأحد أصحاب المذاهب الستة المتبوعة ، إنه أمير المؤمنين فى الحديث الذى قال فيه زائدة: الثورى سيد المسلمين وقال الأوزاعي: لم يتق من تجمع عليه الأمة بالرضى إلا سفيان الثورى وما كان ذلك الإمام الجليل والعلم الشامخ إلا نتاج أم صالحة حفظ التاريخ لنا مآثرها وفضائلها وإن كان ضن علينا باسمها ، وروى الإمام أحمد بسنده عن وكيع قالت أم سفيان لسفيان: « يا بنى اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلى[1] فكانت - رحمها الله - تعمل وتقدم له ليتفرغ للعلم وكانت تتخوله بالموعظة والنصيحة وقالت له ذات مرة فيما يرويه الإمام أحمد أيضا :

« يا بنى إذا كتبت عشرة أحرف ، فانظر هل ترى فى نفسك زيادة فى خشيتك وحلمك ووقارك فإن لم تر ذلك فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك » فهل ترى من غرابة بعد هذا بعد أن نرى سفيان يتبوأ منصب الإمامة فى الدين كيف وهو قد ترعرع فى كنف مثل هذه الأم الرحيمة ، وتغذى بلبان تلك الأم الناصحة التقية ؟

وهذا الإمام الثقة الثبت إمام أهل الشام وفقيههم أبو عمرو الأوزاعى.

يقول فيه أبو أسحاق الفزاري : ما رأيت مثل رجلين : الأوزاعى والثورى ،أما الأوزاعى فكان رجل عامة ، والثورى كان رجل خاصة ولو خيرت لهذه الأمة لاخترت الأوزاعى لأنه كان أكثر توسعا وكان والله إماما وقد أجمع العلماء على إمامة الأوزاعى وجلالته وعلو مرتبته وكمال فضله وأقاويل السلف رحمهم الله كثيرة مشهورة مصرحة بورعه وزهده وعبادته وقيامه بالحق وكثرة حديثه وغزارة فقهه وشدة تمسكه بالسنة وبراعته فى الفصاحة وإجلال أئمة عصره من الأقطار له واعترافهم بمرتبته ذلك الحبر البحر كان ثمرة أم عظيمة .

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى (١/ ٣٢٠) .

نصائح لك أختي في بيتك تعينك على معرفة دورك تجاه تكوين الأسرة المسلمة:

١ـ دورك مع ولدك

فقالت أمه لزوجها فروخ : اخرج فصل في مسجد رسول الله ﷺ فخرج فنظر إلى حلقة وافرة فأتاه فوقف عليها فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره وعليه قلنسوه خويله فشك أبوه فيه فقال : من هذا الرجل ؟ فقيل هذا ربيعة بن أبى عبد الرحمن فقال : لقد رفع الله ابنى ؟ ورجع إلى منزله . . وقال لوالدته : لقد رأيت ولدك على حاله ما رأيت أحدا من أهل العلم والفقه عليها قالت أمه : فإنما أحب إليك ثلاثون ألف دينار أو هذا الذى هو فيه ؟ قال : لا والله بل هذا فقالت : أنفقت المال عليه قال والله ما ضيعته .

الأخت الفاضلة :

ان إسلامنا قد رسم لك الطريق تجاه وليدك من حين حمله حتى ولادته ثم إرضاعه ثم طفولته حتى يصير شاباً قوياً فرجلاً فتيا. . .

١ـ مرحلة الحمل :

فاذا شعرت أن الله جلت قدرته قد من عليك بنعمة الحمل فاشكرى الله تعالى على هذه النعمة ولا عليك إن كان الحمل ذكراً أو أنثي فهذه قدره الله - عز وجل - قال سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى:٤٩-٥٠] .

وهو وحده سبحانه هو الذى يعلم هل هو ذكر أم أنثى قبل أن يكون نطفة مقدرة قال تعالى :﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد : ٨] .

واعلمى أن هذه النطفة أو هذا الحمل يمر بمراحل متعددة ففى السنة المطهرة « **إنَّ أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليك ملكا بأربع كلمات فيكتب وأجله ورزقه وشقى أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح** »[1] وقد سجل القرآن الكريم هذه الحقيقة العلمية فى سورة المؤمنون

(١) رواه البخارى (٦٥٩٤) ومسلم (٢٦٤٣)وأحمد (٣٦٢٤) وابن ماجه (٧٦) وصحيح سنن أبى داود (٨-٤٧) .

حيث قال سبحانه ﴿ثُمَّ جعلْناهُ نُطْفَةً في قَرارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنا النُّطْفَةَ علَقَةً فَخَلَقْنا العلقة مُضغة فخلقنا المُضْغَةَ عظامًا فَكَسَوْنَا العظام لحما ثُمَّ أنشأْناه خَلْقًا آخر فتَبَارَكَ اللَّهُ أحسنُ الخالقين﴾ [المؤمنون : ١٣-١٤] وروى مسلم عن أبى الطفيل قال دخلت على أبى سريحة حذيفة بن أسيد الغفارى فقال : سمعت رسول الله ﷺ بأذانى هاتين يقول : « إن النطفة تقع فى الرحم أربعين ليلة ثم يتور عليها الملك الذى يخلقها فيقول يا رب أذكر أم أنثى فيجعله الله ذكراً أو أنثى ثم يقول يا رب أسوى أو غير سوى فيجعله الله سويا أو غير سويا ثم يقول يا رب ما رزقه ؟ وما أجله ؟ وما خلقه ؟ ثم يجعله الله شقيا أو سعيداً » (١)وفى رواية أخرى لمسلم أصرح من هذه « إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعين ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم يقول أذكر أم أنثى ؟ فقضى ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب أجله ؟ فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة فى يده ؟ فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص . . . » (٢) .

فسبحان من قال ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران :٦] هل صورك فى الأشعة تحت الحمراء ؟ هل صورك فى الأشعة فوق البنفسجية هل صورك فى ضوء القمر أو ضوء الشمس؟ لا إذن فى أى شيء صورك فى ظلمات الرحم . سبحانك يارب . .

يا من يرى مد البعوض جناحه ... فى ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى نياط عروقها فى نحرها ... والمسح فى تلك العظام النحل
ويرى ويسمع ما دونها ... فى قاع بحر ذاخر متجندل

فترة الولادة

فإذا تمت مدتك ـ أى فى الحمل – وهذه المدة غالبا تكون تسعة أشهر وقد تكون

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه مسلم .

سبعة أشهر وهي مستفادة من قول الله تعالى: ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] وقيل : ستة أشهر .

واعلمي أن ملكا موكلاً بالأرحام يحفظ الخلية الملقحة ويقوم على أمرها ويكلؤها ويرعاها ويدفع عنها المضار ويتعهدها بالعناية والمتابعة ويلزم لهذا الحارس الأمين والوكيل الكفيل أن يعرف بعض الأشياء عن هذا الكائن فيسأل الله تعالى حيث يعلم أن الله تعالى هو الذى يعلم كل الدقائق والتفاصيل والجزئيات التى يكون عليها ، فيأمره الله تعالى أن يذهب إلى أم الكتاب ليعرف كل شيء عن هذا المخلوق الجديد فساعتها استعيني بالله أولا وتوكلي عليه ثم بطبيبة أو بقابلة حاذقة فإن لم يتيسر طبيبة أو قابلة فيجوز اللجوء إلى طبيب مسلم.

مرحلة ما بعد الولادة

فإذا وضعت طفلك فاحمدى الله واشكرى نعمته على ما أنعم عليك سواء كان المولود ذكراً أو أنثى وينبغي أن يحمد الزوج ربه على ما رزقه فلا يجزع إن كانت أنثى لأن هذه من عادات أهل الجاهلية قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل : ٥٨-٥٩].

وقد سجل الشعر العربى ذلك النشيد الحزين لأم هجرها زوجها حين ولدت له أنثى وقرر أن يتزوج بامرأة أخرى من جيرانه :

ما لأبى حمزة لا يأتينا ... يظل فى البيت الذى يلينا
غضبان ألا تلد البنينا ... تالله ما ذاك بأيدينا
ونحن كالأرض لزارعينا ... ننبت ما قد زرعوه فينا

آداب الزيارة

أختى المسلمة:

اعلمى أن هناك عدة آداب عليك أن تلتزمى بها كى ما تثمر زيارتك وتكون فى

ميزان حسناتك عند الله - عز وجل - فهيا بنا نتعرف سويا على تلك الآداب.

الأدب الأول: استئذان الزوج

وهذا الأدب حق من حقوق الزوج على زوجته كما قال ﷺ : **« لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره ولا تخرج وهو كاره ولا تطيع فيه أحداً ولا تعزل فراشه »**(١) .

وروى الطبراني بإسناده أن رسول الله ﷺ قال للمرأة الخثعمية : **« لا تصوم تطوعا إلا بأذنه فإن فعلت جاعت وعطشت ولا يقبل منها ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمة وملائكة العذاب حتى ترجع»**(٢) وفى رواية للبيهقي قيل وإن كان ظالما ؟ قال: **« وإن كان ظالما »** وذلك لأن خروج المرأة من بيتها بغير إذن زوجها يترتب عليه من المفاسد ما لا يحمد عقباه خاصة فى هذه الأيام التى نعيش فيها .

أختى المسلمة :

إذا كان الإسلام قد أمر الزوجة أن لا تصوم تطوعاً إلا بإذن زوجها فكيف بأمر خروجها من بيتها حتى ولو كان هذا الخروج إلى بيت من بيوت الله ، ولو إلى المساجد للصلاة أو لسماع دروس علم وإذا خرجت وعصت الزوج كانت امرأة ناشزا امرأة عاصية لله ولرسوله لأن الرسول ﷺ أمر الزوجة بطاعة زوجها وطاعة الرسول ﷺ من طاعة الله تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء : ٨٠] .

ما يجب أن تسلكه المرأة المسلمة فى طريقها

أختى المسلمة :

إذا نويت الخروج من بيتك لحاجة أو لأمر من الأمور التى ذكرتها فينبغى عليك

---

(١) رواه أحمد فى مسنده بإسناد صحيح ورواه البخارى بنحوه .

(٢) رواه ابن ماجه وأحمد والطبرانى بإسناد رجاله ثقات .

أن تفعلى ما يأتى :

أن تستأذنى

من أب أو زوج أو أخ لأنهم المسئولون عنك وعن رعايتك قال ﷺ : « **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل فى بيته راع ومسئول عن رعيته ...** » [١] . ولابد أن يعرف الأب أو الزوج أو من هو مسؤل عنك المكان الذى سوف تذهبين إليه فربما كان هناك خطر أو ضرر يعود عليك لكنك لا تعرفينه فيرشدك أو ينصحك بخير منه .

أن تذكرى دعاء الخروج

يسن إذا خرجت من البيت أن تقولى ما روته أم سلمة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته قال : « **بسم الله توكلت على الله اللهم إنى أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على** »[٢] فإذا كان خروجك مقصوداً به مسجداً فقولى ما رواه ابن عباس رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال : « **اللهم اجعل فى قلبى نوراً وفى بصرى نوراً وفى يمينى نوراً وخلفى نوراً وفى عصبى نوراً وفى لحمى نوراً وفى دمى نوراً وفى شعرى نوراً وفى بشرى نوراً** » [٣] .

أن ترتدى الحجاب الشرعى

فينبغى على نساء المؤمنين الاستجابة إلى الالتزام بما فرضه الله عليهن من الحجاب والستر والعفة والحياء طاعة لله تعالى وطاعة لرسوله محمد ﷺ قال تعالى : ﴿وما كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾ [الأحزاب : ٣٦] وقد أمر رب العزة جل فى علاه

---

(١) رواه البخارى وغيره .

(٢) رواه الترمذى وصححه ، وأبو داود وابن ماجه وغيرهم بإسناد صحيح .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

رسوله محمـداً ﷺ أن يأمر أزواجه وبناته ونساء المؤمنين عامة بالاحتشـام والتستر فى ملابسهن فقـال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب : ٥٩] .

قالت أم سلمة رضى الله عنها لما نزلت هذه الآية خـرج نساء الأنصار وكأن على رؤسهن الغربان من السكينة وعليـهن أكسية سود يلبسنها ففى افتراض الحجاب حكم وأسرار عظيمة وفضائل محمودة منها :

١- حفظ العرض : الحجاب حراسة شرعيـة لحفظ الأعراض ودفع أسباب الريبة والفتنة والفساد.

٢- طهارة القلوب : نعم هو طهارة لقلوب المؤمنين والمؤمنات وعمـارتها بالتقوى وتعظيم الحرمات ، وصدق الله إذ يقول ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

٣- مكارم الأخلاق : فـفى لبس الحجـاب دعوة إلى مكارم الأخـلاق من عفـة وأحتشام وحياء وغيرة وحجب مساويها من التلوث بالشائنات كالتبذل والتهتك .

٤- علامة ظاهرة للعفيفات : فالحجاب علامة شرعـية على الحرائر العفيفات فى عفتـهن وشرفهن ويبعـدهن عن دنس الريبة والشك ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [الأحزاب ٥٩] وصلاح الظاهر دليل على صلاح الباطن .

٥- قطع الأطماع والخواطر الشيطانية : فالحجاب يقطع الأطماع الفاجرة ويكف الأعين الخائنة ويدفع أذى الرجال فى عرضه وأذى المرأة فى عرضها ومحارمها.

٦- حفظ الحـياء : وهو مأخوذ من الحـياة فلا حيـاة بدونه وهو خلق يودعه الله تعالى فى النفوس التى أراد سبحانه تكريمها فيبعث على الفضائل وهو شعبة من شعب الإيمان وهو محمود خصال العرب التى أقرها الإسلام ودعا إليها .

قال عنترة العبسى :

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتـى يواري جارتي مأواهـا

قاد مفعـول الحياء إلى التحلي بالفضائل وإلى سيـاج رادع يصد النفس ويزجرها عن تورطها في الرذائل وما الحجاب إلا وسيلة فعالة لحفظ الحياء وخلع الحجاب خلع الحياء .

٧- المرأة عورة والحجاب سترها: ولهذا هو من التقوى قال تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦] قال عـبد الرحمن بن أسلم ـ رحـمه الله في تفسـير هذه الآية « يتقي الله ، فـيواري عورته فذاك لباس التقوى ».

وفي الدعاء المرفوع إلى النبي ﷺ : « اللهم استر عـوراتي وآمن روعاتي » وهذه الفضائل المحمـودة والفوائد العظيمة ، إنما هي للحجاب الذي اجتمـعت فيه الشروط الآتية:

١- أن يكون ساتراً لجميع البدن .

٢- أن يكون كثيفا غير رقيق .

٣- ألا يكون زينة في نفسه .

٤- أن يكون فضفاضاً غير ضيق، لا يجسم البدن .

٥- ألا يكون لباس شهرة . ٦- ألا يشبه لباس الكافرات .

٧- ألا يشبه ثياب الرجال . ٨ ـ ألا يلفت الأنظار .

جانبي التبرج والسفور

فمما يحـبه الرجل المؤمن في زوجته أن تتجنب التـبرج والسفور ، فهمـا محرمان شرعاً ... لكن ما هي حقيقة كل منهما ؟

التبرج أعم من السفور فالسـفور خاص بكشف الغطاء عن الوجه لكن التبرج هو كشف المرأة وإظهارها شيئا من بدنها أو زينتها المستترة أمام الرجال الأجانب .

والتبرج يكون بأمور:

١- يكون بخلع وإظهار المرأة شيئا من بدنها أمام الرجال الأجانب عنها .

٢- يكون بإبداء المرأة شيئا من زينتها المكتسبة مثل ملابسها التى تحت جلبابها .

٣- يكون بتثنى المرأة فى مشيتها وتبخترها وتكسرها أمام الرجال .

٤- ويكون بالضرب بالأرجل ليعلم ما تخفى من زينتها وهو أشد تحريكا للشهوة من النظر إلى الزينة .

٥- ويكون التبرج بالخضوع بالقول والملاينة بالكلام .

٦- ويكون بالاختلاط بالرجال وملامسة أبدانهن أبدان الرجال بالمصافحة أو التزاحم فى السيارات والقطارات أو الممرات الضيقة ونحوه .

وقال تعالى :﴿ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] وقال تعالى ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النور : ٦٠] وقد روى الإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « **صنفان من أهل النار لم أرهما أقوام معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا** »(١) ومعنى كاسيات عاريات أى تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها ، وأما قوله:« **مائلات مميلات**» أى يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن .

لا تضعى العطور ولا الأصباغ

ومما يحبه الرجل في زوجته أن تتطيب له ، ولا تتطيب لغيره.

فعن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **أيما امرأة**

---

(١) رواه مسلم وأحمد فى مسنده والألبانى فى صحيح الجامع برقم (٣٧٩٩) ، والصحيحة (١٣٢٦).

استعطرت فمرت بقوم ليجدوا ريحها فهى زانية»[(١)] ، قال المباركفورى : زانية لأنها هيجت شهوة الرجال بعطرها وحملتهم على النظر إليها ومن نظر إليها فقد زنا بعينه فهى سبب زنا العين فهى آثمة حتى لو كان هذا الطيب للصلاة فى المسجد ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه يقول خرجت من المسجد فرأيت امرأة تنضح طيبا لذيلها إعصار أى غبار فقلت لها : يا أمة الجبار من المسجد جئت؟ قالت: نعم قال: وله تطيبت؟ قالت: نعم قال: فارجعى فإنى سمعت أبا القاسم يقول : « **لا يقبل الله لامرأة صلاة تطيب للمسجد أو لهذا المسجد حتى تغتسل غسلها من الجنابة** »[(٢)] .

لا تغيرى خلق الله بصورة من الصور

الرجل المسلم أيضا لا يحب من زوجته ، أن تعصي الله تعالى، كأن تغير خلق الله. وذلك كوشم الأبدان ونمص الحواجب . . ففى الصحيحين من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ : « **لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة**»[(٣)] وفى حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال : « لعن الله الوشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن والمغيرات خلق الله » .

قال العلماء يحرم على المرأة المسلمة إزالة شعر الحاجبين أو إزالة بعضه بأى وسيلة كالحلق والتقصير أو استعمال المادة المزيلة أو بعضه لأن هذا هو النمص الذى لعن الرسول ﷺ من فعلته . . وكذلك وصل الشعر بما يسمى (الباروكة) فهو حرام شرعاً .

عدم المشى فى وسط الطريق

ومما يحبه أيضا أن تكون زوجته من الحياء والأدب والوقار ، ومن ذلك عدم المشي وسط الطريق فعن أبى سعيد الأنصارى أنه رأى رسول الله ﷺ وهو خارج من المسجد فاختلط

---

(١) رواه أحمد فى مسنده (١٩٥٩٩) بإسناد صحيح وصححه والألبانى فى صحيح الجامع برقم (٢٧٠١) .

(٢) رواه أحمد فى مسنده وابن ماجه فى سننه (٤٠٠٢) وعبد الرزاق فى مصنفه وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود برقم (٧١٧٤) .

(٣) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

الرجال مع النساء فى الطريق فقال رسول الله ﷺ : « استأخرى ، فإنه ليس لَكُنَّ أن تحققن الطريق عليكن بحافات الطريق » فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إنَّ ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به [١] .

تجنب الخلوة

لقول رسول الله ﷺ : « ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما » [٢] .

فلا يجوز للمرأة أن تختلى مع رجل أجنبى عنها فى أى مكان ومن تساهل فى ذلك فلا يأمن على نفسه الوقوع فى الفاحشة أو وقوع أهله فيها .

لا تصافحى الرجال الأجانب

قال ﷺ : « لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له » [٣] .

ونبينا محمد ﷺ لم يصافح امرأة قط . . فقد قال فى مبايعته للنساء: « إنى لا أصافح النساء وما قولى لامرأة واحدة إلا كقولى لمائة امرأة » .

عليك بالرفقة الصالحة

ينبغى على المرأة المسلمة أن تدقق فيمن تصاحب وفيمن تصادق وفيمن تسير معها وما أحسن ما ضربه لنا رسول الله ﷺ مثلا لذلك فقال : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة » [٤] .

---

(١) رواه أبو داود (٥٢٧٢) وحسنه والألبانى فى الصحيحة برقم (٨٥٦) .

(٢) رواه الترمذى وأحمد وغيرهما وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى (٩٣٤) .

(٣) رواه الطبرانى وصححة الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٤٩٢١) .

(٤) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم .

ولأن الإنسان لابد أن يتأثر أو يؤثر فيمن يصاحبه ويصادقه ويجالسه نجد أن النبى ﷺ يقول : «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» لذلك فإن المرأة الصالحة هى التى تختار من ترضى دينها وخلقها وأمانتها وصدق الشاعر حين قال :

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه إن القرين بالمقارن يقتدى

إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

فكم من فتاة عرفت طريق الشيطان بسبب رفقة السوء .وكم من فتاة عرفت طريق الله بسبب الرفقة الصالحة .

يقول الشافعى - رحمه الله : لولا القيام بالأسحار وصحبة الأخيار ما اخترت البقاء فى هذه الدار .

وقال بعض السلف: عليك بصحبة أهل الخير ممن تسلم منه فى ظاهرك وتعينك رؤيته على الخير ويذكرك الله وقال عمر بن الخطاب « لا تتكلم فيما لا يعينيك واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين إلا من يخشى الله عز وجل ويطيعه ولا تمش مع الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تطلعه على سرك ولا تشاور فى أمرك إلا الذين يخشون الله».

تواضعي في مشيتك

فالتواضع : أن لا ترين لنفسك فضلا على غيرك . . . فالتواضع المطلوب هو التواضع الذى لا يؤدى إلى منقصة ولا مذلة ولا يقدح فى شرف الإنسان ولو بطريق غير مباشر .

قال ﷺ : « طوبى لمن تواضع فى غير منقصة وذل فى نفسه من غير مسأله وأنفق مالاً جمعه فى غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقة والحكمة طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره» (١) .

لكن كيف يكون التواضع لله عز وجل ؟ يكون بعدة أمور :

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط وأحمد فى مسنده وابن حبان فى صحيحه عن جابر .

١- النظر فى مبدأ خلقها من أين خلقت ؟ ومم خلقت ؟

وقال تعالى : ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق : ٥-٧] فإذا فكر وتدبر عرف قدرة نفسه التى لا تساوى شيئا .

٢- النظر إلى مصيرها ومستقرها وماذا قدمت لنفسها من عمل صالح فأنت خلقت من التراب وإلى التراب تعودين والموت أقرب إليك من شراك نعلك وبعده تتساوى الرؤوس ويوضع الرئيس بجانب المرؤوس فإذا عرفت ذلك المصير المحتوم تهون عليك الدنيا بما فيها .

٣- النظر فيما أعده الله للمتواضعين وما أعده للمتكبرين فقد أعد الأجر العظيم للمتواضعين والمتواضعات قال ﷺ : « **إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحسانكم أخلاقا وأن أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون** » (١) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **قال الله تعالى : الكبرياء ردائى والعزة إزارى فمن نازعنى فى واحدة منهما عذبته** » أى عذبته فى دنياه وآخرته فالعذاب عذابان دنيوى وأخروى كما قال الله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم:٣٣] وفى الصحيحة من حديث حارثة بن وهب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ألا أخبركم بأهل النار ، كل عتل أى غليظ - جواظ - المختال مستكبر** » (٢) فلو نظرت المتكبرة المختالة إلى هذا الوعيد الشديد الذى توعد الله به أهل الكبر لضاقت الدنيا بما رحبت وضاقت عليها وأخذ منها الخوف كل مأخذ .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

خطر اللسان

أختى المسلمة :

إنَّ الإنسان لم يفضل على سائر الكائنات إلا بالنطق المترجم عن مطالب عقله الذى أنعم الله به عليه .

لولا الكلام لما تبينا الهدى ... وتعطلت فى ديننا الأحكام

فزن الكلام إذا أردت تكلما ... ودع الفضول ففى الفضول ملام

وأداة هذا الكلام هى اللسان وهو من أخطر أعضاء الإنسان نفعاً وضرراً لهذا قال معلم البشرية : « **من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة** » [(١)].

وقال لمعاذ رضى الله عنه « **وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم** » [(٢)].

فهو أطيب ما فى البدن إن طاب وهو أخبث ما فيه إن خبث لذلك لما أمر لقمان الحكيم أن يذبح شاة ويأتى لسيده بأطيب عضوين أحضر القلب واللسان ثم أمر سيده مرة أخرى أن يذبح شاة ويأتيه بأخبث عضوين فأحضر له القلب واللسان فتعجب سيده قائلا له لقد أمرتك أن تأتينى بأطيب عضوين فأتيت بالقلب واللسان وأمرتك أن تأتينى بأخبث عضوين فأتيت بالقلب واللسان فما سر ذلك قال لقمان : يا سيدى هما أطيب ما فى البدن إذا طابا وأخبث ما فيه إذا خبثا ولخطره العظيم دون سائر الأعضاء فإنها تناشده كل يوم بأن يتقى الله فيها فيقول سيد الخلق ﷺ : « **إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء تذكر اللسان فتقول له: اتق الله فينا فإنما نحن بك إذا استقمت استقمنا وإذا اعوججت اعوججنا** » [(٣)].

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه الترمذى وقال حسن صحيح ورواه ابن ماجه (٣٩٧٣) والألبانى فى صحيح الجامع (٣٢٩).

(٣) رواه الترمذى (٢٤٠٩) وابن خزيمة والبيهقى فى الشعب وذكره الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥١) .

أختى المسلمة :

أنصفى أذنيك من فيك إنما جعل لك أذنان وفم واحد لتسمعى أكثر مما تتكلمى وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول: يا لسان قل خيراً تغنم أو اسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم [(١)] .

وكان يقول : والله الذى لا إله إلا هو ليس شيء أحوج إلى طول سجن من لسانى .

أختى المسلمة :

والكلام الذى تتكلمينه على عدة وجوه :

١- إما أن يكون فيه حذر محض فلابد من السكوت عنه .

٢- وإما أن يكون فيه ضرر ومنفعة فإن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

٣- وإما أن يكون لا منفعة فيه ولا ضرر فهو حينئذ فضول واشتغالك به مضيعة للوقت الذى هو رأس مالك .

٤- وإما أن يكون لحاجة أو منفعة وهو الذى يجب أن يطلق به اللسان .

قال عطاء بن أبى رباح [(٢)] :

إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى أن يقرأ أو أمراً بمعروف أو نهيا عن منكر أو أن ينطق فى حاجتك فى معيشتك التى لابد لك منها أتنكرون : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ [الانفطار :٩-١٠] ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق :١٧-١٨] أما يستحى أحدكم لو نشرت عليه صحيفته التى أملاها صدر

---

(١) رواه البيهقى فى الشعب وذكره ابن أبى الدنيا فى الصمت فى المجمع وقال: رواه الطبرانى ورجاله ثقات (١٠ / ٢٩٩) .

(٢) رواه ابن أبى المبارك فى الزهد (٣٨٤) والزهد لأحمد والحلية (١/ ١٣٤) .

نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه [(١)].

أختاه....

إن كثرة الكلام مدعاة لطول الحساب!

وكثرته مذهبة للهيبة والبهاء !

وكثرته مذهبة للرزانة والوقار !

وكثرته مدعاة لكثرة الأخطار !

طيب الكلام ... طريق يقرب إلى دار السلام

إذا تكلمت فليكن كلامك طيبا وحين يكون ذلك كذلك تكونين قد اقتربت بطيب الكلام من دار السلام يقول سيد الأنامﷺ : « إن فى الجنة غرفا يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها » فقام إليه أعرابى فقال لمن هى يا رسول الله قال: «لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى لله بالليل والناس نيام »[(٢)] وعن محمد بن المنكدر - رحمه الله - قال « يمكنكم من الجنة إطعام الطعام وطيب الكلام »[(٣)] وما حض رسولناﷺ على هذه الخصلة العظيمة وأرشدنا إلى التحلى بها إلا لعلمه بخطرها وعلو شأنها وارتفاع مكانها بين خصال الخير وطيب الكلام من شيم الكرام ودليل على حسن الأخلاق وقد كانﷺ كما وصفته السيدة عائشة رضى الله عنها لما سئلت عن أخلاقه قالت : « كان أحسن الناس خلقا لم يكن فاحشا ولا مستفحشا ولا صخابا بما الأسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها ولكن يصفو ويصفح »[(٤)] إذا طيب الكلام من حسن الأخلاق وكلاهما يثقل الميزان قالﷺ : « أثقل ما يوضع فى ميزان

---

(١) حلية الأولياء (٣/٥) لأبى نعيم .

(٢) رواه الترمذى وأحمد فى مسنده عن أبى مالك الأشعرى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع.

(٣) رواه أبو نعيم فى الحلية (٣/ ١٤٩) وابن أبى الدنيا .

(٤) رواه الترمذى فى السنن وأحمد وابن أبى الدنيا وإسناده صحيح .

المؤمن يوم القيامة : حسن خلق وإن الله يبغض الفاحش البذيء » (١) .

أكثرى فى حديثك من ذكر الله

فالذاكرون والذكرات يذكرهم الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] .

وفى الحديث القدسى : « أنا عند ظن عبدي بى ، وأنا معه إذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه» (٢) .

﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٣٥]

وذكر الله يطمئن القلوب ويرطب الألسن ويقوى الأبدان.

قال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد : ٢٨] .

وقد أرشد النبى ﷺ ابنته فاطمة - رضى الله عنها - إلى ما هو خير لها من خادم فقال لها لما جاءت تسأله خادما : « ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم ؟ تسبحين الله ثلاثاً وثلاثين وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين وتكبرين الله أربعاً وثلاثين حين تأخذين مضجعك» (٣) .

فبذكر الله ترفع الدرجات وتحط الخطيئات وتغفر الذنوب والزلات وبذكر الله يخنس الشيطان ويهدأ الغضبان فعليك بذكر الله والإكثار منه وذكرى الناس بالله فى كلامك واذكريه عند بيعك وشرائك وعند دخولك وخروجك ، وذهابك وإيابك ومجلسك ومقامك وسائر أحوالك . . .

ذكر الله يرضى الله عنك ويجلب محبته لك ومن ثم يحبب فيك زوجك والخلق فإذا

---

(١) رواه ابن حبان وابن أبى الدنيا فى الصمت وابن سعد فى الطبقات وإسناده صحيح .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

أحب الله عبداً دعا جبريل فقال : « إنى أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم يوضع له القبول فى الأرض » [١] .

قولى للناس حسناً

أختى المسلمة :

فـإن كان لا بد من الـكلام فليكن قـولك حسناً جـمـيلاً فـهـذا هو الأصل فى التخاطب قال سبحانه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[البقرة : ٨٣] فتلك وصية الله لعباده ... فالكلمـة الطيبة تحـول العدوة اللدودة إلى صديقـة حميمـة بإذن الله تعالى .. وتجعل الضغـائن التى فى القلوب محبـة ومودة وولاء ، قال ﷺ :« الكلمة الطيبـة صدقة » [٢] .

الكلمة الطيبة تقى بهـا جهنم - والعياذ بالله - قال ﷺ : « اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة » [٣]فكم من مشكلة حلت بسبب كلمة طيبة .

وكم من بلية قـد دفعت بسبـب كلمة طيبـة ! وكم من مشاحنات وعـداوات قد رفعت بسبب كلمة طيبـة ! وعلى العكس من ذلك فكم من جرائم قد ارتكبت ونيران قد استعرت وكم من فتن اشتعلت بسبب كلمة خبيثة ! بل وكم من أرواح قد أزهقت وأنفس قد قتلت، وأسر قد شردت بسبب كلمة خبيثة!

قال سبحانه : ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[فصلت : ٣٤] .

فلتكن أختى المسلمـة الكلمة الطيبـة شعارك ولتجـرى الكلمة الطيبـة دوما على لسانك ...

---

(١)رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

(٢)رواه البخارى ومسلم وأحمد فى مسنده وابن أبى الدنيا فى الصمت .

(٣)رواه البخارى ومسلم وأحمد فى مسنده وابن مـاجه والدارمى والنسائى وابن عساكر وابن أبى الدنيا .

تحرى الصدق وتجنبى الكذب

أختى المسلمة :

الصدق حلية الأولياء، وشعار الأنبياء، لذلك أوصانا النبى ﷺ به ونهانا عن الكذب فقال : « **عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا** »[١] .

والكذب هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه، وقد روى فى كتاب الله تعالى أكثر من مائتين وثمانين آية كلها تنهى عن الكذب وتبين العاقبة السيئة للمكذبين والكاذبين والكاذبات .

وقد اقترن الكذب بالنفاق والكفر قال ﷺ : « **آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر** »[٢] .

قال أبو حاتم : إن الله عز وجل فضل اللسان على سائر الجوارح ورفع درجته وأبان فضيلته بأن أنطقه من بين سائر الجوارح بتوحيده فلا يجب على العاقل أن يعود آلة خلقها للنطق بتوحيده بالكذب بل يجب عليه المداومة برعايته بلزوم الصدق[٣] .

ابتعدى عن السب والفحش وبذاءة اللسان

أختى المسلمة :

لا تعودى لسانك السب والشتم فقد ورد النهى عن ذلك قال ﷺ : « **سباب المسلم فسوق وقتاله كفر** »[٤] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم .

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم .

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ٤٩ .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

وأنت أختى المسلمة قد أمرت بالتأسى بالإمام الأعظم والنبى الأكرم ﷺ ولم يكن السب ولا اللعن ولا الفحش من أخلاقه . . . قال أنس بن مالك رضى الله عنه للربيع: « لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا ولا لعانا ولا سبابا وكان يقول عند المعتبة: «ما له ترب جبينه »(١) وقد وصف الرسول ﷺ المسلمين والمسلمات ونفى أن يكون هذه الصفات لهم فقال : « **ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا بالبذيء**»(٢).

وليس المقصود أن تنزه المسلمة لسانها فقط عن لعن مثلها ولكن يتعدى النهى عن اللعن حتى للريح فقد لعن رجل الريح عند رسول الله ﷺ فقال له : « **لا تلعن الريح فإنها مأمورة من لعن شيئا ليس له بأهل رجعت اللعنه عليه** »(٣) ، وقد وصف رسول الله ﷺ البذيء بالإفلاس يوم يقوم الناس لرب العالمين فقال : « المفلس : من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وحج ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وآكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار»(٤) ولو لم يكن إلا كراهة الله عز وجل للفحش وأهله زاجرا عن هذا الخلق الذميم لكان كافيا قال ﷺ : « **إن الله لا يحب الفاحش والمتفحش ولا الصياح فى الأسواق**» (٥).

خاطبى الناس على قدر عقولهم

أختى المسلمة : تأملي فهم زوجك:

وتأملى أفهام من حولك من الناس الذين لك علاقة بهم قبل أن تتحدثى معهم

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البخارى فى الأدب المفرد وأحمد فى مسنده والترمذى فى سننه وإسناده صحيح .

(٣) رواه الترمذى (١٩٧٨) وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود برقم (٤٩٠٨) .

(٤) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

(٥) رواه البخارى فى الأدب المفرد .

ولا تفتنيهم بحديثك فإن خاطبت جاهلة فترفقى بها وحدثيها بما يتناسب معها خاصة إذا كان حديثك فى الدين .. قال ﷺ : « حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله » وفى صحيح مسلم من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال : « ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » لأجل ذلك كان رسولنا محمد ﷺ يخبر بعض أصحابه ببعض أنواع العلوم والمعارف دون البعض الآخر ... ففى صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ وكان معاذ رديفة قال : «يا معاذ» قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا قال : «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله صادقا من قلبه إلا حرمه الله على النار» .

قال يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا ؟ قال : «إذا يتكلوا » وأخبر بها معاذ عند موته تأثما (١).

لا تتعالى على الناس فى مخاطبتهم

أختى لكي تتجنبي الخلافات التي تجلب لزوجك ما يكره ، كونى متواضعه خافضه للجناح عند خطابك مع إخوانك وأخواتك مع المحارم وغيرهم ممن تتعاملين معهم فهذا هو نبينا محمد ﷺ يخاطب هرقل فى رسالته قائلا «بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم » (٢) وفى ثنايا الرسالة قال ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران : ٦٤] وهذا هو نبى الله سليمان عليه السلام حين أرسل رسالته إلى ملكة سبأ قال فيها: ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النمل ٣٠-٣١] فلم يقل من نبى الله سليمان ولا من سليمان الملك وإنما قال : «من سليمان لأجل ذلك وصفت ملكة سبأ هذا الخطاب بقولها ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ [النمل:

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) رواه البخارى ومسلم .

٢٩] حقا إنه كريم لأنه التزم فيه أسلوب التـواضع ولم يتعال فى خطابه فقد قال نبينا محمد ﷺ : « **إن الله أوحى إلى أن تواضعـوا حتى لا يفخر أحد علـى أحد ولا يبغى أحد على أحد** »[1] .

احذري الخضوع بالقول

أختى الفاضلة :

ليكن حـديثك مع الرجال فى ضـرورة وإن لم تكن هناك ضرورة فـلا تتحـدثى إليـهم وإن تحدثت فـابتعـدى عن الكلام اللين احـذرى الكلام المرقق فإن الله تبـارك وتعالى قد أمر نساء النبى ﷺ أمـهات المؤمنين رضى الله عنهن بأن لا يخضعن بالقول ... قال سبحانه : ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب :٣٢]

والمعنى : لا ترققن الكلام ولا تنطقن به بطريقـة لينة متكسرة تثير شـهوة الرجال وتجعل مريض القلب يطمـع فى النطق بالسوء معكن ، فإن من محـاسن خصال المرأة أن تنزه خطابها عن ذلك لغيـر زوجها من الرجال وإذا كان التحـذير لأمهات المؤمنين وهن الطاهرات المطهرات عن الخضوع بالقول حـتى يكن فى ذلك عبرة وعظة لغيرهن من كل زمـان ومكان ومخـاطبة المرأة لغـير زوجـها من الرجـال بطريقة لينـة مثيرة للشهـوات والغرائز تؤدى إلى فساد كـبير لذلك قال سـيد الخلق ﷺ : « **اتقو الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء** »[2] .

لا تخوضى فى الباطل

وهو الكلام فى المعاصى وأعظم الناس خطايا يوم القيامـة أكثر جنوحا فى الباطل

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم وابن ماجه وأحمد .

وكانت الإشارة إلى النهى عنه فقال سبحانه: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾[المدثر :٤٥] وقد كان الربيع بن خثيم - رحمه الله يقول : لا خير فى الكلام إلا فى تسع تهليل وتسبيح وسؤالك من الخير وتعوذك من الشر ، وأمرك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر، وقراءتك للقرآن (١) .

لا تكثرى من الحلف والأيمان

لأن الإكثار من الحلف والأيمان شأن أهل الكفر والنفاق قال تعالى مخاطبا نبيه ﷺ : ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم : ١٠] وقال سبحانه :﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المنافقون : ٢] وقد أمرك الله تعالى وكل المؤمنين والمؤمنات بحفظ الأيمان فقال سبحانه :﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة : ٨٩] أما إذا دعت الحاجة إلى الحلف أو اليمين فلا بأس بذلك إذا كان لنفى تهمة أو لتثبيت حكم أو لتأكيد مودة ومحبة، ونحو ذلك، ويجوز الحلف لتأكيد أمر من الأمور أو لبيان أهمية الأمر، فقد كان النبى ﷺ يؤكد يمينه فيقول : « **والذى نفسى بيده ...** »(٢) ولما سرقت المخزومية وأراد أسامة بن زيد أن يشفع لها قال ﷺ : « **وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها** »(٣) وكان يقسم ويقول : « ومقلب القلوب » وإذا أقسمت أو حلفت فلا تقسمى ولا تحلفى إلا بالله تعالى أو بصفة من صفاته، قال ﷺ : « **من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت** »(٤) لا تفعلى كما تفعل الجاهلات وتحلف بأبيها أو أمها أو جدها فهذا مخالف لما كان عليه السلف الصالح - رضوان الله عليهم - قال ﷺ : « **من حلف بغير الله فقد أشرك** » لأن القسم أو الحلف تعظيم للمخلوق به وليست العظمة لأحد إلا الله تعالى .

---

(١) ذكره أبو نعيم فى حلية الأولياء (٢/ ١٢٩) وابن أبى الدنيا فى الصمت .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

لا تمدحي أحدا بما ليس فيه

أختي المسلمة :

والمدح منهي عنه لأنه كما قال العلماء يدخله ست آفات : أربع في المادح واثنتان في الممدوحة، فأما المادحة :

الأولى : أنها قد تفرط فيه فينتهي بها إلى الكذب .

الثانية : أنها قد يداخلها الرياء والنفاق .

الثالثة : أنها قد تقول ما لا تتحققه ولا سبيل لها إلى الاطلاع عليها .

الرابعة : إنك قد تفرحين الممدوحة وهي ظالمة أو فاسقة وذلك غير جائز وأما الممدوحة فيضرها المدح من وجهين :

الأولى : يحدث لها كبراً أو إعجاباً وهما مهلكان .

الثانية : إنك إذا أثنيت على أحد فرح ورضي عن نفسه وقل تشميره للعمل.

وقد كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - يحترزون من الكبر والمدح فعندما كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا مدحه أحد قال : « اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون » وفي الحديث : « إذا كان أحدكم لابد مادحا أخاه فليقل: أحسب فلانا ولا أزكي على الله أحد »[١] .

وقد سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يثني على رجل فقال : أسافرت معه ؟ قال : لا . قال أخالطته في المبايعه والمعاملة ؟ قال : لا . قال فأنت جاره صباحه ومساءه ؟ فقال : لا . فقال : والله الذي لا إله غيره لا أراك تعرفه »[٢] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم ، وأحمد في مسنده .

(٢) الصمت لابن أبي الدنيا .

ابتعدى عن المراء والجدال

والمراء هو : الطعن فى كلام الغير لإظهار خلل فيه لغير غرض سوى تحقير قائله وإظهار مرتبته عليه .

وأما الجدال : فهو عبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزة وتنقيصه بالقدح فى كلامه كوصفه بالجهل .

وكلاهما منهى عنه :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محقا ويدع كثيراً من الحديث مخافة الكذب»[١] وكان من وصية لقمان لابنه قوله : أى بنى لا تعلم العلم تباهي به العلماء أو تمارى به السفهاء أو ترائى به فى المجالس. وسمع الربيع بن خيثم يلاحى رجلاً فقال له أى ما هذا - لا تلفظ إلا بخير ولا تقل لأخيك إلا ما تحب أن تسمعه من غيرك فإن العبد مسئول عن لفظه محصى عليه ذلك كله : ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾[٢] [المجادلة:٦].

أختى الفاضلة :

إن أكثر الجدال وأغلبه سائد فى عامة النساء وهى ذميمة سيئة فابتعدى عنها حتى ولو كان لك الحق فيه فقد بشرك نبى الخير ﷺ بالجنة ، قال ﷺ : « أنا زعيم بيت فى ربض الجنة لمن ترك الجدال إن كان محقا »[٣] .

إياك والتقعر فى الكلام

والتقعر فى الكلام هو التشدق به وقد قال ﷺ : « يأتى الناس زمان يتخللون فيه الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقر الكلأ بألسنتها »[٤] .

---

(١) رواه أحمد فى مسنده وابن أبى الدنيا فى الصمت .

(٢) ابن أبى الدنيا فى الصمت والغزالى فى الأحياء .

(٣) صحيح سنن أبى داود للألبانى .

(٤) رواه الترمذى وأحمد وأبو داود بإسناد صحيح .

والمعنى : أنه يدير لسانه حول أسنانه مبالغة فى إظهــار بلاغته وخص البقر لأنها تجمع النبات بلسانها لا بأسنانها .

والتقــعـر فى الكلام أصحــابه هم المتنطعــون قال ﷺ : « ألا هلك المتنطعون » ثلاث مرات [١] .

إياك والثرثارة

الوقت وحرص السلف الصالح عليه

قال عــبد الله بــن مسعــود رضى الله عنه ما نــدمت على شيء كندمى على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلى ولم يزد فيه عملى .

وقال الفــضيل بن عياض : أعــرف من كان يعد كلامــه من الجمعة إلى الجــمعة ودخلوا على رجل من السلف فـقــالوا: لعلنا أشغلــناك فقــال: أصدقكم كنت أقــرأ فتركت القراءة لأجلكم [٢].

وكان عــثمــان الباقــلانى دائم الذكر لله تعــالى فقــال : إنى وقت الإفطار أحس بروحى كأنها تخرج لأجل اشتغالى بالاكل عن الذكر ومتى لان المزور طمع فيه الزائر فأطال الجلوس فلم يسلم من أذى وقد كان جماعة قعوداً عند معروف فأطالوا، فقال: إنه ملك الشمس لا تنير عن سوقها أفما تريدون القيام ؟

وجاء رجل من المتـعبدين إلى ســرى السقطى فرأى جــماعة فقــال: صرت مناخ البطالين ثم مضى ولم يجلس .

ثم يقول ابن الجــوزى :

وهذا الأيام مثل المزرعة فكأنه قيل للإنسـان كلما بذرت حبة أخرجنا لك ألف حبة

---

(١) رواه ومسلم وأحمد وأبو داود .

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزى (ص ٤١٢) ط التوفيقية .

فهل يجوز للعاقل أن يتوقف فى البذر ويتوانى (١) .

وكان الحسن البصرى يقول : عجيب الأقوام أمروا بالزاد ونودى فيهم بالرحيل وجلس أولهم على آخرهم وهم يلعبون وكان يقول : يا بن آدم السكين تشحذ والتنور يسخر والكبش يعتلف .

وقال أبو حازم : إن بضاعة الآخرة كاسدة فاستكثروا منها فى أوان كسادها فإنه لو جاء وقت نفاقها لم تصلوا فيها إلى قليل ولا كثير .

وكان أبو بكر بن عياش يقول : لو سقط من أحدكم درهم لظل يوم يقول: إنا لله ذهب درهمى وهو يذهب عمره ولا يقول: ذهب عمرى وقد كان لله أقوام يبادرون الأوقات ويحفظون الساعات ويلازمونها بالطاعات(٢) .

فيم تستثمرين وقتك

أختى المسلمة :

١- استثمرى وقتك فى الذكر فقد قيل: لعمر بن هانئ لا نرى لسانك يفتر من الذكر فكم تسبح كل يوم ؟ قال: مائة ألف(٣) .

وعن عكرمة أن أبا هريرة كان يسبح كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة(٤) .

٢- استثمرى وقتك فى قراءة القرآن الكريم : فقد كان سعيد بن جبير - رحمه الله - يختم القرآن فى كل ليلة مرتين وكان عروة بن الزبير يقرأ ربع القرآن كل يوم فى المصحف نظرا ويقوم به الليل وكانت أم حيان السلمية تقرأ القرآن الكريم فى كل يوم وليلة .

---

(١) المرجع السابق لابن الجوزى .

(٢) أبو نعيم فى الحلية (٣٠٣/٨) وابن الجوزى فى المواقيت الجوزية (ص٢٢) وكتبة النسر.

(٣) أبو النعيم فى الحلية (٥/ ١٥٧) والذهبى فى السير .

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٦١٠) .

وهذه حفصة بنت سيرين ـ رحمها الله ـ كانت تقول ناصحة لك ولغيرك «يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإنى والله ما رأيت العمل إلا فى الشباب» [(١)] .

يقول عنها عبد الكريم بن معاوية : ذكر لى عن حفصة أنها كانت تقرأ نصف القرآن فى كل ليلة. . . حتى كان ابن سيرين رحمه الله إذا أشكل عليه من القرآن شىء قال: اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ [(٢)]، وكانت حفصة وعالية رحمهما الله تعالى من العابدات وكانت إحداهما تقوم من الليل فتقرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف فى كل ركعة [(٣)] .

٣- استمرى وقتك فى العلم النافع : فقد خاطب الله تعالى أمهات المؤمنين ـ رضى الله عنهن ـ فقال سبحانه : ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب : ٣٤] وقال ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » [(٤)] ونتيجة لهذا الإحساس بحاجتها إلى طلب العلم ذهبت إحدى النساء إلى معلم البشرية ﷺ تطلب منه مجلسا خاصا بالنساء قائلة: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما فنأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله فقال ﷺ : « اجتمعن فى يوم كذا وكذا فى مكان كذا » فاجتمعن فعلمهن مما علمه الله [(٥)] وقد جاء فى (فتوح البلدان) للبلاذرى أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنها كانت تتعلم الكتابة فى الجاهلية على يد امرأة كاتبة تدعى (الشفاء العدوية) فلما تزوجها ﷺ طلب إلى الشفاء أن تعلمها الخط وترتيبه كما علمتها أصل الكتابة .

وهذا هو الحافظ ابن عساكر أوثق رواة الحديث ، وأصدقهم حديثا حتى لقبوه

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى (٤/ ١٥-١٦) .

(٢) كالسابق .

(٣) المرجع السابق (٤ / ٢٥) .

(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٣٩١٣) .

(٥) رواه البخارى ومسلم .

(بحافظ الأمة) كان له من شيوخه وأساتذته بضع وثمانون من النساء فهل سمع الناس فى عصر من العصور وأمة من الأمم أن عالما واحدا يتلقى عند بضع وثمانين امرأة علما واحدا ؟

لقد بلغت الكثيرات من العالمات المسلمات منزلة علمية رفيعة فكان منهن الأستاذات والمدرسات لكل من (الإمام الشافعى) والبخارى وابن خلكان وابن حبان وذلك مثل السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن أبى طالب رضي الله عنه وتلك هى ابنة الإمام مالك - رحمه الله - فقد كان الإمام يُقرأ عليه (الموطأ) فإن لحن القارئ فى حرف أو زاد أو نقص تدق ابنته الباب فيقول أبوها للقارئ : (ارجع فالغلط معك) فيرجع القارئ فيجد الغلط .

٤ - استثمرى وقتك فى عبادة ربك : فما خلقت فى هذه الدنيا إلا لأجل العبادة والعبادة تشمل الصلاة والصيام وغير ذلك من القربات والطاعات وقد كانت نساء السلف الصالحات مثالا عظيما للعبادة والاجتهاد من هؤلاء :

١- أم حسان الكوفية : فعن عبد الله بن المبارك قال : ذكر سفيان الثورى امرأة بالكوفة يقال لها « أم حسان » وقد كانت ذات اجتهاد وعبادة فدخلنا بيتها فلم نر فيه شيئا غير قطعة من الحصير فقال لها الثورى: لو كتبت رقعة إلى بعض بنى أعمامك لغيروا لك سوء حالك.

فقالت : يا سفيان قد كنت أعظم وفى قلبى أكبر منذ ساعتك هذه إنى ما أسأل الدنيا من يقدر عليها ويملكها ، ويحكم فيها فكيف أسأل من لا يقدر عليها ولا يقضى ولا يحكم فيها ؟!

يا سفيان والله ما أحب أن يأتى علىَّ وقت وأنا متشاغلة فيه عن الله تعالى بغير الله ، فأبكت سفيان . . . قال عبد الله فبلغنى أن سفيان تزوج بها [1] .

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى (٣/ ٩٦-٩٧) ط دار الفكر .

٢- زوجة رياح القيسى :

قال أبو يوسف البزاز : تزوج رياح القيسي امرأة فبنى بها فلما أصبحت قامت إلى عملها فى البيت تعجن وتنظف وتكنس وتطبخ فقال لها لو نظرت امرأة تكفيك هذا ؟! فقالت: إنما تزوجت رياحا القيسي ولم أرنى تزوجت جباراً عنيداً فلما كان الليل نام ليختبرها، فقامت ربع الليل ثم نادته: قم يا رياح فقال: سأقوم فقامت الربع الآخر ثم نادته: قم يا رياح فقال أقوم ولم يقم فقامت الربع الآخر ثم نادته: يا رياح مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم ليت شعرى منْ غرنى بك يا رياح؟! (١) . قال رياح : وقامت الربع الباقى .

قال : ذكرت لى امرأة فتزوجتها فكانت إذا صلت العشاء الآخرة تطيبت وتعطرت ولبست ثيابها ثم تأتينى فتقول : ألك حاجة ؟ فإن قلت : نعم كانت معى وإن قلت لا قامت فنزعت ثيابها ثم صفت بين قدميها حتى تصبح (٢) فيا ليت نساءنا يسلكن هذا المسلك فيقلن للرجال : يا ليت شعرنا من غرنا بكم؟! من غرنا بك عندما أفدستنا، وما اتقيت الله فينا ؟!

٣- امرأة الهيثم بن جماز :

قال زوجها الهيثم : كانت لى امرأة لا تنام الليل وكنت لا أصبر معها على السهر فكنت إذا نعست ترش علىَّ الماء فى أثقل ما أكون من النوم وتنبهنى برجلها وتقول : أما تستحى من الله ؟ إلى كم هذا الغطيط فوالله إن كنت لأستحى مما تصنع.

٤- معاذة العدوية زوجة صلة بن أشيم :

كانت رحمها الله تحيى الليل صلاة فإذا غلبها النوم قامت تحول فى الدار وتقول: يا نفس النوم أمامك لو قدمت لطالت رقدتك فى القبور على حسرة أو سرور وكانت تقول :

---

(١)المرجع السابق .

(٢)صفة الصفوة لابن الجوزى (٢٧/٤) .

عجيب لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد فى ظلمة القبور [(١)] فما بال النساء فى زماننا قد جهلن ما كان عليه نساء السلف الصالح .

٥- حبيبة العدوية :

وتلك هى حبيبة العدوية التى قال عنها عبد الله المكى : كانت إذا صلت العشاء قامت وشدت عليها خمارها وأخذت تناجى ربها وتقول : إلهى غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وبابك مفتوح وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامى بين يديك ثم تقبل على صلاتها فإذا كان السحر قالت : اللهم وهذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعرى هل قبلت مني، ليلتى فأهنأ؟ أم رددتها على فأعزى ؟! فوعزتك لهذا دأبى أبدا ما أبقيتني وعزتك لو انتهرتنى ما برحت عن بابك ولا وقع فى قلبى غير جودك وكرمك [(٢)] .

أختاه ....

هل رأيت أفضل من هؤلاء النسوة ؟ أرأيت كيف استطعن أن يستثمرن أوقاتهن فى عبادة رب العزة جل فى علاه ؟!

٥- استثمرى وقتك بعد ذلك فى طاعة زوجك :

قال رسول الله ﷺ : « **إذا صلت المرأة خمسها وحصنت فرجها وأطاعت بعلها دخلت من أى أبواب الجنة شاءت** » [(٣)] وقد كانت فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأنيسة سيد المرسلين ﷺ فى بيت زوجها على بن أبى طالب رضى الله عنه كانت تطحن الشعير والقمح وتخبز الخبز لبيتها وكانت ترقد تحت القدر حتى تغبرت ثيابها، وتلك هى أسماء بنت أبى بكر الصديق - رضى الله عنها - تتزوج بالزبير بن العوام فكانت

---

(١) المرجع السابق (٤/ ١٤) .

(٢) نفس المرجع السابق (٤/ ١٩-٢٠) .

(٣) رواه أحمد فى مسنده (١٦٦١) وصححه أحمد شاكر والألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٠) .

تعلف له فرسه وتكفيه مؤنته وترقد له النوى وتعلفه وتسقيه الماء وتعجن وتطبخ .

وهى مع ذلك لم تكن تغفل عن عبادة ربها بل كانت صوامة قوامة . . . يقول زوجها الزبير بن العوام دخلت على أسماء وهى تصلى - أى قيام الليل - فسمعتها وهى تقرأ: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧] فاستعاذت فلما طال عليَّ أتيت السوق ثم رجعت وهى فى بكائها تستعيذ (١) .

٦ ـ ويجوز لك أختى المسلمة أن تقضى وقتا فى المباحات :

مثل : النوم والأكل والشرب وغير ذلك فإن هذه المباحات تتحول بحسن القصد إلى عبادات فلو نويت نومك هذا أنه يعينك على أداء العبادات، أو أداء حق الزوج لصار هذا النوم عبادة تثابين عليها فالمرء يثاب على حسن نيته وإخلاص قصده، وكذلك لو أردت قضاء شهوتك مع زوجك بالحلال تكونين قد حولت الشهوة المباحة إلى عبادة تثابين عليها، أما سمعت حديث رسول الله ﷺ الذى قال فيه « ... **وفى بضع أحدكم صدقة** » قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال: «**أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر**»(٢) فإذا قصدت بها أداء حق زوجك وإعفاف نفسك وغض بصرك . . تحولت إلى عبادة من العبادات وكذلك الطعام المباح إذا نويت به أن تكونى قوية على أداء حق الله تعالى وحق الزوج وغير ذلك تحول من عادة مباحة إلى عبادة من العبادات، فعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله تعالى ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمده عليه** » (٣) .

قيامك على خدمة زوجك وخدمة أبنائك بما يلزمهم من نحو غسل وطهى وتنظيف يتحول هذا العمل بالنية الصادقة إلى عبدة يجزيك الله تعالى عنها أعظم الجزاء لقول سيد العظماء ﷺ قال « **كلكم راع ومسئول عن رعيته... والمرأة من بيت**

(١) حلية الأولياء (٢/ ٥٥) لأبى نعيم الأصفهانى ، وفي الدر المنثور للسيوطى (٧/ ٦٣٥) .

(٢) رواه مسلم وغيره . (٣) رواه مسلم والترمذى وأحمد .

زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها »[١] .

عوائق تصرفك عن الاستفادة من الوقت

١ - العائق الأول : اتباع الهوى :

والهوى هو ميل الطبع إلى ما يلائمه وهذا الميل خلق في الإنسان لضرورة بقائه في هذه الدنيا فلولا ميله إلى المطعم ما أكل ولولا ميله إلى المشرب ما شرب ولولا ميله إلى المنكح ما نكح . . . وكذلك كل ما يشتهيه.

فالهوى مستجلب له ما يفيد كما أن الغضب دفاع عنه ما يؤذى فلا يصلح ذم الهوى على الإطلاق وإنما يُذم المفرط فيه ذلك وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار .

أختي المسلمة :

واعلمي أن مطلق الهوى يدعو إلى اللذة الحاضرة من غير فكر في عاقبتها وهو يحث على نيل الشهوات عاجلاً وإن كانت سببا للألم والأذى في الآجل فالعاقلة اللبيبة هي التي تنهى نفسها عن لذة تعقب ألما وشهوة تورث ندما وبهذا القدر فضل الآدمي على البهائم لأن البهائم لا نظر لها إلى عاقبة ولا فكر لها في مآل .

ويقول :ابن عباس - رضي الله عنهما - ما ذكر الله الهوى في موضع من كتابه إلا ذمه وقال تعالى: ﴿ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الجاثية : ٢٣] وحذر نبيا كريما من أنبيائه من الهوى فقال: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص : ٢٦] وخاطب حبيبه ومصطفاه بقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف : ٢٨] فالهوى يهوى بصاحبه إلى الشرور في الدنيا وفي الآخرة وفي الحديث «ثلاث مهلكات وثلاث منجيات أما المنجيات فخشية

(١) رواه البخاري .

الله فى السر والعلانية، والقصد فى الغنى والفقر والعدل فى الرضا والغضب»[(١)] .

فترى المسلم أو المسلمة تقضى الساعات الطويلة أمام المسلسلات والأفلام والمسرحيات الهابطة فإذا سألتها عن سبب ذلك تقول أضيع الوقت... فهى لا تدرى أنها تضيع عمرها بل وتقتل نفسها لأن الإنسان مجموعة من الأيام فإذا انقضى يوم من أيامها استقبلت الآخرة واستدبرت به الدنيا كما كان لقمان يقول لولده يا بنى إنك من يوم أن نزلت إلى الدنيا استدبرت الدنيا واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقبل عليها أقرب من دار تبتعد عنها فالهوى من أخطر العوائق التى تصرفك عن استثمار وقتك فيما يرضى الله عز وجل قال أبو بكر الوراق: « أصل غلبة الهوى مقاربة الشهوات فإذا غلب الهوى أظلم القلب وإذا أظلم القلب ضاق الصدر وإذا ضاق الصدر ساء الخلق وإذا ساء الخلق أبغض الخَلْق وإذا أبغضه الخَلْق أبغضهم وإذا أبغضهم جفاهم وإذا جفاهم صار شيطانا رجيما » .

العائق الثانى : طول الأمل :

وما من آفة هى أعظم من طول الأمل ولولا طول الأمل ما وقع إهمال أصلا وإنما تقدم المعاصى وتؤخر التوبة لطول الأمل وتبادر الشهوات وتنسى الإنابة لطول الأمل .

أختى المسلمة :

جميل أن تحملى أملا فى قلبك لتعمرى الكون فالإنسان مفطور على حب الحياة ولا تنكر ذلك إلا جاهلة بالكتاب والسنة ...

جميل أن يكون أملك فى تعمير بيت لأبنائك !

جميل أن تتمنى الوصول إلى أعلى المناصب لكن الخطر أن يحول طول الأمل

---

(١) السلسلة الصحيحة للألبانى (١٨٠٢) وصحيح الجامع (٣٠٤٥) وقال رواه الطبرانى فى الأوسط عن ابن عمر .

بينك وبين طاعة الله جل فى علاه !

ولقد حذرك نبى الأمة ﷺ من طول الأمل فقال لابن عمر « **كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل** »[(١)] .

وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » هذا هو الفهم الحقيقى للأمل قال تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر : ٣] قال الحسن البصرى - رحمه الله: - « ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل » وقد كان أحد الصالحين ينشد قائلا :

وما هذه الأيام إلا مراحل يحث بها داع الموت قاصد
وأعجب شيء لو تاملت أنها منازل تطوى والمسافر قاعد

العائق الثالث : الفراغ :

وإن كان الفراغ نعمة من أعظم النعم لكننا لا ندرى فمن استغل فراغه فى طاعة الله فهو الممدوح ومن استعمله فى معصية الله فهو المغبون .

وقد قسم علماؤنا الفراغ إلى أنواع :

١- فراغ قلبي : وهذا من أخطر أنواع الفراغ وهو فراغ القلب من الإيمان والقلب إذا فرغ من الإيمان فقد مات صاحبه وحينئذ يكون متعرضا للفتن قال ﷺ : « **تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودا عودا فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تعود القلوب على قلبين قلب أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه وقلب أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض** »[(٢)] .

---

(١) رواه البخارى (٣/ ٦٤) وغيره، أو هنا بمعنى : بل ، أى كن في الدنيا غريب، بل عابر سبيل.

(٢) رواه أحمد فى مسنده برقم (٢٣٣٣٢) وذكره الألبانى فى صحيح الجامع برقم (ـ٢٩٦٠) .

يقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه تفقد قلبك فى مواطن ثلاثة عند قراءة القرآن وعند مجالس الذكر وعند الخلوة بينك وبين ربك فإن لم تجد قلبك عند هذه الثلاثة فابحث عن قلبك فإنه لا قلب لك .

٢- فراغ النفس : فراغك فى نفسك التى بين جنبيك . . . نفسك الأمارة بالسوء ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل وكلا الطريقتين أمامها قال تعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس : ٧-١٠] فالمرأة إذا لم تجد عملا تقوم به فى بيتها ورأت نفسها فى فراغ انشغلت بالمعاصى انشغلت بالأفلام والمسلسلات انشغلت بقراءة المجلات الخليعة .

أختى المسلمة : إنك إن ألجمت نفسك بلجام الطاعة انقادت لك وإن تركتيها قادتك إلى الهلاك والخسران .

٣- الفراغ العقلى : لقد كرم الله تعالى الإنسان بالعقل وجعله متميزا به دون سائر المخلوقات فالعقل دواء القلوب ومطية المجتهدين وبذر حراثة الآخرة وتاج المؤمن فى الدنيا وعدته فى وقوع النوائب ومن عدم العقل لم يزده السلطان عزا، ولا كمال يرفعه قدرا ولا عقل لمن أغفله عن أخراه ما يجد من لذة دنياه :

وأفضل قسم الله للمرء عقله فليس من الخيرات شيء يقاربه
وإذا أكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه
يعيش الفتى فى الناس بالعقل إنه على العقل يجرى علمه وتجاربه
يزيد الفتى فى الناس جودة عقله وإن كان محظورا عليه مكاسبه

أختى المسلمة: وما دام الله قد رزقك عقلا مفكرا ،وقلبا واعيا فاشغليه بالعلم (١) والحكمة فالمرأة العاقلة هى التى تكون بما أحب عقلها من الحكمة أكلف منه بما أحب جسدها من القوت لأن قوت الأجساد المطاعم وقوت العقل الحكم . . . فكما أن الأجساد

---

(١)روضة العقلاء لابن حبان (ص١٨) .

تموت عند فقد الطعام والشراب فكذلك العقول إذا فقدت قوتها من الحكمة ماتت فاشغلى فراغ عقلك بمطالعة الكتب المفيدة والجاحظ يوصيك بالكتاب المفيد والمطالعة المفيدة فيقول :

« والكتاب هو الجليس الذى لا يطريك والصديق الذى لا يغريك والرفيق الذى لا يملك والمستمع الذى لا يستريثك والجار الذى لا يستبطيك والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق ولا يحتال لك بالكذب . . .

والكتاب إذا نظرت فيه أطال إمتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود نباتك وفخم ألفاظك وبحبح نفسك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك .

والكتاب هو الذى يطعيك بالليل كطاعته بالنهار ويطيعك فى السفر كطاعته فى الحضر ولا يعتل بنوم ولا يعتريه كل السهر وهو المعلم الذى إن افتقرت إليه لم يحفزك وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وإن عزلته لم يدع طاعتك وإن هبت ريح أعاديك لم ينقلب عليك .

وقال ابن الجهم عن الكتاب :

« وإذا غشينى النعاس فى غير وقت نوم تناولت كتابا من كتب الحكم فأجد اهتزازى للفوائد والأريحية التى تعترينى عن الظفر ببعض الحاجة الذى يغشى قلبى من سرور الاستنابه وعز التبين أشد إيقاظا من نهيق الحمير . . . » .

العائق الرابع : انشغالك بأمور تافهة :

قال الشيخ عائض القرنى[1] :

فى حياتنا اليومية ثلاثة أخطاء تتكرر :

١- ضياع الوقت .

---

(١) لا تحزن (٢٦٨) .

٢- التكلم فيما لا يعنى « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » [(١)] .

٣- الاهتمام بتوافه الأمور .

وقال : ينبغي ألا تضيع صحة جسمك وفراغ وقتك بالتقصير في طاعة ربك والثقة بسالف عملك فاجعل الاجتهاد غنيمة صحتك والعمل فرصة فراغك فليس كل الزمان مستعدا ولا ما فات مستدركا وللفراغ زيغ أو ندم وللخلوة ميل أو أسف .

قال بعض البلغاء : لا تمضِ يومك فى غير منفعة ولا تضيع نفسك فى غير صنعه فالعمر أقصر من أن ينفد فى غير المنافع والمال أقل من أن يصرف فى غير الصنائع والعاقل أجل من أن يفنى أيامه فيما لا يعود عليه نفعه وخيره » [(٢)] وأبلغ من ذلك قول عيسى ابن مريم عليه وعلى نبينا السلام : البر ثلاثة المنطق والنظر والصمت فمن كان منطقه فى غير ذكر فقد لغا، ومن كان نظره فى غير اعتبار، فقد سها ومن كان صمته فى غير نكر فقد لها .

أمور تعاونك على الاستفادة من وقتك

أختى المسلمة :

هناك أمور تجعلك توظفين وقتك فيما هو نافع ومفيد لك ولمن حولك ومن هذه الأمور :

١- **معرفة الأزمنة الفاضلة** : ففى بعض الأيام أو الشهور نفحات مباركة فيها تتضاعف الحسنات ومنها :

١ـ شهر رمضان :

وقد فضل شهر رمضان بنزول القرآن الكريم فيه قال تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾[البقرة : ١٨٥] وشهر رمضان

---

(١)رواه أحمد فى مسنده (١٧٣٧) وغيره وذكره الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٢٩٦٠) .

(٢)نقلا من كتاب لا تحزن للشيخ عاض القرنى .

فيه خيرات كثيرة ليست فى غيره قال ﷺ : « **إذا جاء شهر رمضان تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه مردة الشياطين وفيه ليلة خير من ألف شهر**»(١) فرمضان خير كله صيام نهاره وقيام ليله والنفقة فيه كالنفقة فى سبيل الله قال رسول الله ﷺ : « **من صام رمضان وقامه إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٢) شهر رمضان له مميزات خاصة بين سائر الشهور كيوسف بين أخوته فكما أن يوسف أحب الأولاد إلى يعقوب كذلك رمضان أحب الشهور إلى علام الغيوب وقال إن كان يوسف من الحلم والعفو ما غمر جفاهم حين قال ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف:٩٢] فكذلك شهر رمضان فيه من الرأفة والبركات والنعمة والخيرات والعتق من النار والغفران من الملك القهار ما يغلب جميع الشهور وما اكتسب فيها من الآثام والأوزار.

٢- يوم الجمعة :

فهو خير يوم طلعت فيه شمس وهو سيد الأيام قال سيد الأنام ﷺ : « **إن خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يصادفها مؤمن يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه إياه** » (٣) وهو أعظم عند الله من يوم الفطر ويوم النحر قال ﷺ : « **يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله وهو أعظم عند الله من يوم الفطر ومن يوم النحر وفيه خمس خصال: فيه خلق آدم وفيه أهبط إلى الأرض وفيه توفى وفيه ساعة لا يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه إياه ما لم يسأل حراما وفيه تقوم الساعة وما من ملك مقرب عند ربه ولا فى السماء ولا فى الأرض إلا وهو يشفق من يوم الجمعة** »(٤) .

---

(١) رواه أحمد في مسنده والبيهقى فى الشعب والنسائى وذكره الألبانى فى صحيح الجامع .

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم .

(٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

(٤) رواه أحمد فى مسنده برقم (١٥٤٨٥) بإسناد حسن (١٢/ ٢٢٥) لأجل عبد الله بن محمد ورواه ابن ماجه (١٠٨٤) والبيهقى فى الشعب وأبو نعيم (١/ ٣٦٦) فى حلية الأولياء.

٣- يوم عرفة :

فهو من أشق الأيام على ألد أعدائنا وهو إبليس اللعين ، قال النبي الأمين ﷺ : **« ما رئي الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة »** (١) .

٤- الأيام العشر الأول من ذي الحجة :-

وهي التي أقسم بها مولانا في صدر سورة الفجر كما بين علماء التفسير قال سبحانه : ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر : ١-٢] وعن ابن عباس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : **« ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام »** يعني العشر الأول - قالوا :ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : **«ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء »** (٢) .

٥- يوم عاشوراء :

فقد ورد في سنن أبي داود من حديث أبي قتادة : **« وصيام عرفة إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والتي بعده وصوم يوم عاشوراء - إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبلها »** (٣).

وقد ورد أن الله تعالى تاب على آدم - عليه السلام - في يوم عاشوراء وهو اليوم الذي رفع فيه إدريس مكانا عليا وكذلك رفع فيه عيسى - عليه السلام - ونجى الله فيه موسى من فرعون وأغرق فرعون وأخرج فيه يونس من بطن الحوت وفيه اتخذ الله إبراهيم خليلا لكن ذلك لم يثبت بآثار صحيحة .

أختي المسلمة :

فاغتنمي هذه الأيام المباركة وتلك الأزمان الفاضلة ولا تتركي الفرصة تضيع من

---

(١) رواه مالك في الموطأ مرسلا (١/ ٤٢٢) وقال الزرقاني في شرح الموطأ وصله الحاكم في المستدرك عن أبي الدرداء والدحر هو الطرد والإبعاد .

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

(٣) رواه أبو داود وصححه الألباني (٢٤٢٥) ورواه مسلم .

بين يديك تنالى العزة والكرامة فى الدنيا وفى الآخرة .

الأمر الثانى : اختارى الجليسة الصالحة :

وقد شبه الرسول ﷺ الجليسة الصالحة الطيبة بحاملة المسك قال ﷺ : « **مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن تجد منه رائحة طيبة وإما أن يحذيك منه وإما أن تبتاع منه [أي تشترى منه] وأما الجليس السوء فإما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه رائحة نتنة**» [(١)] وهنا الحديث وإن كان للذكور إلا أن العبرة بعموم اللفظ فيشمل الجليس الصالح الذكر مع صاحبه ويشمل الجليسة الصالحة الأنثى مع نظيرتها من النساء وقد قال ﷺ : « **المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**» [(٢)] .

فاصحبى من إذا مددت يدك إليها بالخير مدتها وإذا رأت منك حسنة عدتها وإن رأت سيئة سترتها واجلسي مع من إذا قلت صدقت قولك وإن تنازعت مع زوجك أو أهل بيتك أصلحت من أمرك ، واجلسي مع من تكتم سرك وتستر عيبك وتكون معك فى النوائب وتقف معك فى الشدائد .

الأمر الثالث : الخوف من الله تعالى فى السر والعلانية :

أختى المسلمة : لقد بلغ من خوف الصالحات القانتات أنهن كن يبكين بكاء شديد من شدة خوفهن من الله عز وجل ومن هؤلاء الصالحات .

١ – **منيفة بنت أبى طارق** : كانت بالبحرين وكانت رحمها الله تقوم الليل وتقرأ القرآن وتبكى وفى ليلة قرأت: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[آل عمران : ١٠١] فما زادت أخذت ترددها وتبكى .

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٥٨٢٩) عن أبى موسى الأشعرى .

(٢) رواه أبو داود والترمذى وقال: حسن صحيح .

٢- بردة الصريمية : وكانت من عابدات البصرة كانت تقوم الليل فإذا سكنت الحركات وهدأت العيون نادت: بصوت حزين هدأت العيون وغارت النجوم وخلا كل حبيب بحبيبه وقد خلوت بك يا محبوبي أفتراك تعذبني وحبك في قلبي [١] ، وكانت تبكي حتى يرحمها من رأها ولقد بكت حتى ذهب بصرها فلاموها على ذلك فقالت لو رأيتم بكاء العصاه يوم القيامة لقلتم: إن هذا البكاء كاللعب [٢] .

٣- شعوانة - رحمها الله : كان من خوفها وخشيتها تقول: وددت أني أبكي حتى تنفد دموعي ثم أبكي الدماء حتى لا تبقى في جسدي جارحة فيها قطرة من دم وأنى لى البكاء فلم تزل تردد « وأنى لى البكاء » حتى غشى عليها وكانت تترنم بهذين البيتين :

أذري جفونك إما كنت شاجية ... إن النياحة قد تشفي الحزينا
جدى وقومى وصومى الدهر دائبة ... فإنما الدوب من فعل المطيعينا [٣]

اطردي فراغك بالأعمال النافعة

أختي المسلمة :

يوم تجدين في حياتك فراغا فتهيئي حينها للهم والغم والفزع لأن هذا الفراغ يسحب لك ملفات الماضي والحاضر والمستقبل من أدراج الحياة فيجعلك في أمر مريج لأنه وأدٌ خفي وانتحار بكبسول مسكن .

إن الفراغ أشبه بالتعذيب البطيء الذي يمارس في سجون الصين بوضع السجين تحت أنبوب يقطر كل دقيقة قطرة وفي انتظار السجين لهذه القطرات يُصاب حينها بالجنون .

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي (٤/ ٢٢) .
(٢) تنبيه المغترين للشعراني (ص ١١٦) .
(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي .

الراحة غفلة والفراغ لص محترف وعقلك هو فريسة ممزقة لهذه الحروب الوهمية[1] .

إذا قمت الآن فصلي لله ركعات أو اقرئي ما يتيسر في القرآن الكريم أو سبحي الله عز وجل أو احمديه أو هللي وكبري أو رتبي أثاث بيتك أو أصلحي من شأن أولادك بالتعليم والنصح لهم والإرشاد حتى تقضي على الفراغ وإني لك لمن الناصحين .

اذبحي الفراغ بسكين العمل الإجراء الطارئ أقصد أعمال الأسرة المنزلية وغيرها ويضمن لك الأطباء ٥٠ ٪ من السعادة مقابل هذا الإجراء الطارئ فحسب .

أختــــاه ...

اعملي عمل قصيرة الأمل ولا تمسي حتى تنظري فيما مضى من يومك فإن رأيت زلة فامحيها بتوبة وإذا أصبحت فتأملي ما مضى في ليلك ثم صوري لنفسك قصر العمر وقوة الندم على التفريط عند الموت .

أختــــاه ...

لا تضيعي الوقت فالعمر قصير لا تضيعيه بالنوم والبطالة والأحاديث الفارغة وطلب اللذات واعلمي أن الراحة لا تنال بالراحة ومعالي الأمور لا تنال بالفتور ومن زرع حصد ومن جد وجد .

اللهم إن حسناتنا من عطائك دينا وسيئاتنا من قضائك فجد اللهم بما أعطيت على ما قضيت حتى تمحو ذلك .

اللهم إنا نعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ونعوذ بك من حياة تمنع خير الممات ونعوذ بك من أمل يمنع خير العمل يا رب العالمين .

---

(١) لا تحزن للشيخ عائض القرني (ص ٢٣) بتصرف ط مكتبة ابن تيمية .

أحب النساء إلى الرجال

من الصفات التى يحبها الرجل فى زوجته ، أن تكون على هواه ، موافقة له فى كل أمر ، وقد سأل معاوية بن أبى سفيان - رضى الله عنه - صعصعة بن صوحان : أى النساء أحب إليك ؟ قال : المواتية لك فيما تهوى (أى الموافقة لما تحب وتهوى) قال : فأيهن أبغض إليك ؟ قال : المخالفة لك فيما تحب ، وأبعدهن لما ترضى ، قال معاوية (هذا النقد العاجل) [١] أى : هذا هو العذاب .

وكلما قويت المحبة بين الزوجين سعى كل منهما لإرضاء الآخر .

الصفات الجامعة ، والخصال الحميدة

وقد سئل أعرابى عن النساء ، وكان ذا هم بهن (أى يهتم بالنظر فى طبائع وخصال النساء) فقال : « أفضل النساء أطولهن إذا قامت ، وأعظمهن إذا قعدت، وأصدقهن إذا قالت ، التى إذا غضبت حلمت، وإذا ضحكت تبسمت، وإذا صنعت شيئا جودت، التى تطيع زوجها وتلزم بيتها » العزيزة فى قومها (أى عند أهلها وعشيرتها) الذليلة فى نفسها (أى المتواضعة)،والولود ، التى كل أمرها محمود[٢].

فقد وصف هذا الأعرابى أفضل النساء فى الشكل والهيئة ، وكذلك الطباع والأخلاق .

الجمال الظاهر والجمال الباطن

وهو جمال الهيئة والخلقة » وهو مطلوب فى النساء ، فإن كثيراً من الرجال يعشقون النساء الجميلات ، ولا زالت العرب تصف النساء وجمالهن ، والشعراء من وراء ذلك ساهرون لا ينامون ، فذاك يصف وجه المرأة ، وآخر يصف عين المرأة، وآخر يصف جسم المرأة ، وغير ذلك مما سنوضحه .

---

(١) أخبار النساء لابن الجوزى (١٧) ط . التوفيقية .

(٢) المرجع السابق (١٨) .

أشياء يحبها الرجال

وقال خالد بن صفوان لدلال (١) : اطلب لى بكرا كثيب (٢) أو ثيبا كبكر ، لا صغيرة ولا عجوزة كبيرة ، لم تقر فتمحن، ولم تقت فتمحن (٣)، قد عاشت فى نعمة وأدركتها حاجة ، فخلق النعمة معها ، وذل الحاجة فيها ، حسبى من جمالها أن تكون ضخمة من بعيد ، مليحة من قريب ، وحسبى من حسبها أن تكون واسطة فى قومها (٤)، وترضى منى بالسنة ، إن عشت أكرمتها وإن مت ورثتها .

وقال آخر : ابغى امرأة لا تؤهل دارا (أى لا تجعل دارها آهلة بدخول الناس عليها) ولا تؤنس جارا (أى لا تؤنس الجيران بدخولها عليهم) ولا تنفث نارا (أى لا تنمى وتغرى بين الناس) بالغيبة والنميمة .

أشياء لا يحبها الرجال

ويحكى فى ذلك أن رجلا خطب امرأة من بنى أسد فجاء فنظر إليها ، قال : وبينى وبينها رواق يشف (٥) ، فدعت بجفنة (٦) مملوءة ثريدا مكللة باللحم فأتت على آخرها، وأتت بإناء مملوء لبنا أو نبيذا فشربته حتى كفأته على وجهها ، ثم قالت : يا جارية ارفعى الستار ، فإذا هى جالسة على جلد أسد وإذا شابة جميلة ، فقالت : يا

---

(١) هو دلال المخنث وكان يخطب النساء على الرجال : انظر ترجمته فى الأغانى (٤/ ٥٩ ط بولاق).

(٢) الثيب: هى المتزوجة ، ويقصد هنا أن تجمع المرأة فى الخصال والطباع بين المرأة الثيب والبكر.

(٣) أى لم يطل زواجها قبل الطلاق ، ولم تترك مدة طويلة حتى تزوجت .

(٤) أى ليست من وسط ونسب عال ولا سافل ، لكن بين ذلك ، وخير الأمور الوسط، لأنها إن كانت من نسب عال ربما عيرته ، وضايقته وإن كانت من نسب أقل منه ربما انعدم التوافق بينهما .

(٥) يشف : أى يستبان ما خلفه .

(٥) جفنة : وعاء من فخار أو غيره يوضع فيه الطعام .

عبد الله : أنا أسدة[١] من بنى أسد[٢] على جلد أسد[٣] ، وهذا مطعمى ومشربى[٤] ، فإن أحببت أن تتقدم فافعل ، فقلت : أستخير الله وانظر ، فخرجت ولم أعد .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ وأم سليم تنظر إلى امرأة فقال : « شمى عوارضها[٥] ، وانظرى إلى عقبها »[٦] .

ويروى عن أبى الدرداء أنه قال : خير النساء التى تدخل قيسا وتخرج ميسا ، وتملأ بيتها أقطا وحيسا، وشر نسائكم السلفعة التى تسمع لأضراسها قعقعة ، ولا تزال جارتها مفزعة » ، وتدخل قيسا : أى التى لم تعجل فى خطوها » والميس ؟: التبختر والتثنى فى المشى ، والأقط : هو الجبن المتخذ من اللبن المجفف، والحيس : الطعام المصنوع من التمر والسمن ، والأقط : وهذا يدل على مهارتها فى تدبير شئون منزلها ، والاقتصاد فى ذلك ، والسلفعة: هى البذئية الفاحشة، والقعقعة : الصوت.

صفات أخرى يحبها الرجال

قال رجل : « ما رأيت لباسا على رجل أزين من فصاحة ، ولا رأيت لباسا على امرأة أزين من شحم»[٧] .

وقال الحجاج[٨] : لا يحسن نحر المرأة حتى يعظم ثدياها .

---

(١) أسدة : هو اسمها .
(٢) بنو أسد : قبيلة من العرب معروفة .
(٣) أى جالسة على جلد أسد .
(٤) انظر إلى هذا الصدق ، والصراحة وهذا ما يجب أن يكون خصوصا فى مسألة الزواج .
(٥) العوارض: الأسنان التى فى عرض الفم ، أراد أن يطلع على رائحة فمها ليعلم طيبة أو خبيثة، والعقب : مؤخر القدم .
(٦) انظر هذه الآثار فى عيون الأخبار (٤/ ١٠) .
(٧) القائل : هو ابن شبرمة ، كما ورد فى عيون الأخبار .
(٨) الحجاج : هو ابن يوسف الثقفى أمير المؤمنين، كان سفاحـا، سفاكا للدماء وسيرته وترجمته فى سير أعلام النبلاء .

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لا تحسن المرأة حتى تروي الرضيع[١]، وتدفئ الضجيع[٢] .

وفاء امرأة

عن رجل من بني أسد[٣] قال : أظللت إبلا لي ، فخرجت في طلبهن ، فهبط واديا وإذا أنا بفتاة أعشي جمالها[٤] نور بصري ، فقالت لي : يابني ، ما لي أراك مدلها[٥]؟ فقلت : أضللت إبلا لي فأنا في طلبها ، قالت : أفأدلك على من هي عنده وإن شاء أعطاكها ؟ قلت : نعم ولك أفضلهن ؟ قالت : الذي أعطاكهن أخذهن وإن شاء ردهن ، فسله عن طريق اليقين لا من طريق الاختبار، فأعجبني ما رأيت من جمالها وحسن كلامها ، فقلت : ألك بعل[٦] ؟ قالت : قد كان ، ودعي فأجاب فأعيد إلى ما خلق منه ، قلت : فما قولك في بعل تؤمن بوائقه[٧] ، ولا تذم خلائقه[٨] ؟ فرفعت رأسها وتنفست وقالت :

كنا كصنفين في أصل غذاؤهما ... ماء الجداول في روضات جنات
فاجتث خيرهما من جنب صاحبه ... دهر يكر بترحات وفرحات[٩]
وكان عاهدني إن خانني زمن ... ألا يضاجع أنثى بعد مثواتي

---

(١) أي ترضع الطفل الصغير .

(٢) يعني تدفئ الفراش .

(٣) بني أسد : قبيلة من العرب معروفة، الأثر أيضا ورد في « عيون الأخبار » كتاب النساء (٤/ ٣١).

(٤) أعشى البصر : أي بهره وأضعفه .

(٥) المدله : الحيران ، الساهي الفؤاد والذاهب العقل .

(٦) أي ألك زوج : وقد سألها هذا السؤال ، حتى يلفت نظرها لإرادته الزواج منها .

(٧) البوائق : الشرور والغوائل .

(٨) الخلائق : الصفات والطباع .

(٩) اجتث : قطع، يكر : يدور ويتحرك، الأتراح : هي الأحزان .

وكنت عـاهدته إن خـانه زمن ... ألا أبوء ببعل طول محياتي [١]

فلم نزل هكذا والوصل شيمتنا ... حتى توفى قريبا مذ سنيات [٢]

فاقبض عنانك عمن ليس يردعه ... عن الوفاء خلاف بالتحيات [٣]

أفضل النساء

قال النبى ﷺ : **« تُنكح المرأة لأربع : لدينها وحسبها وحسنها ومالها ، فعليك بذات الدين تربت يداك »** ثم قال : **« ما أفاد رجل بعد الإسلام خيرا من امرأة ذات دين تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها وتحفظه فى نفسها وماله إذا غاب عنها »** هذه هى صفات الزوجة المتميزة ، وهى التى توصف بذات الدين وقوله **« تربت يداك »** يقال للرجل إذا قل ماله : قد ترب أى افتقر حتى لصق بالتراب ، والنبى ﷺ لم يتعمد الدعاء عليه بالفقر ، ولكنها كلمة جارية على ألسنة العرب يقولونها ولا يريدون بها حقيقتها ، كما يقال لمن يبلى فى الحرب بلاء حسنا : قاتله الله ما أشجعه[٤] فلم يقصدوا الدعاء عليه هنا .

وكان يقال [٥] : النساء ثلاث : مهنية لينة عفيفة مسلمة تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها ، وأخرى وعاء للولد ، وأخرى غل قمل يضعه الله فى عنق من يشاء ويفكه عمن يشاء ، ومعنى « غل » : وهو مثل يضرب للمرأة السيئة الخلق، وأصله عند العرب إذا أسروا أسيرا غلوه بغل من قد وعليه شعر فربما قمل فى عنقه إذا قب فتجتمع عليه محنتان : الغل والقمل .

---

(١) أبوء : أعود ، كناية عن عدم زواجها من بعده .

(٢) سنيات : تصغير سنوات ، فموته كان قريبا منذ سنوات قليلة .

(٣) فاقطع الأمل عما تريده منى ، فلن أتزوج بعده .

(٤) انظر عيون الأخبار (٤/ ٣) .

(٥) عن الأصمعى قال : أخبرنا شيخ من بنى العنبر قال : كان يقال : .(عيون الأخبار (٤/ ٣).

وأيضا الرجال تجاه النساء ثلاثة : فهين لين عفيف مسلم ، يصدر الأمور مصادرها ويوردها مواردها ، وآخر ينتهى إلى رأى ذى اللب والمقدرة فيأخذ بأمره ، وينتهى إلى قوله ، وآخر حائر بائر[١] لا يأتمر لرشد، ولا يطيع مرشدا .

وعن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - أنه قال : « خير نسائكم العفيفة فى فرجها ، الغلمة لزوجها »[٢] ومعنى الغلمة : الشديدة الشهوة الجنسية « العاشقة لزوجها » .

وعن عروة بن الزبير قال : ما رفع أحد نفسه بعد الإيمان بالله بمثل منكح صدق ولا وضع نفسه بعد الكفر بمثل منكح سوء ، ولذا قال بعض الشعراء[٣] :

وأول خبث الماء خبث ترابه وأول خبث القوم خبث المناكح

ولذا فإن العرب كانوا ينظرون فى أقارب المرأة أولا لهذا الغرض ، قال أبو عمرو ابن العلاء قال رجل : لا أتزوج امرأة حتى أنظر إلى ولدى منها ، قيل له : كيف ذاك؟ قال: أنظر إلى أبيها وأمها فإنها تجر بأحدهما ، أى إن ولدها يشبه واحدا منهما.

تجنبى سيئ الأخلاق

وعن أوفى بن دلهم أنه كان يقول : النساء أربع : فمنهن معمع[٤] لها شيئها أجمع ، ومنهن تبع تضر ولا تنفع ، ومنهن صدع[٥] تفرق ولا تجمع، ومنهن غيث همع[٦] إذا وقع ببلد أمرع، قال الأصمعى[٧] : فذكرت بعض هذا الحديث لأبى

---

(١) الحائر البائر : الضال التائة الذى لا يتجه إلى شىء .

(٢) عيون الأخبار - كتاب النساء (٤/ ٤) .

(٣) من بنى أسد : انظر عيون الأخبار (٤/٤) .

(٤) المعمع : المستبدة بمالها عن زوجها لا تواسيه منه ، وإن كان فقيرا .

(٥) الصدع : الشق .

(٦) همع : أمطر .

(٧) الأصمعى : عبد الملك بن قريب أحد أعلام اللغة والأدب والأخبار .

عوانة [١] فقال: كان عبد الله بن عمير يزيد فيه : ومنهن القرثع [٢] : وهى التى تلبس درعها مقلوبا ، وتكحل إحدى عينيها وتدع الأخرى .

وعن عمر بن الخطاب -رضى الله عنه - أنه قال : ثلاث من الفواقر [٣] : جار مقامة [٤] ، إن رأى حسنة سترها ، وإن رأى سيئة أذاعها ، وامرأة إن دخلت لسنتك[٥] وإن غبت عنها لم تأمنها ، إلخ. . . .

أحب النساء إلى والد الزوج

قال الأصمعى [٦]: قال رجل : أحب كنائنى [٧] إلىَّ الذليلة فى نفسها ، العزيزة فى رهطها [٨]، البرزة [٩] الحيية [١٠] التى فى بطنها غلام ويتبعها غلام [١١] ، وأبغض كنائنى إلىَّ الطلعة الخبأة [١٢]، التى تمشى الدفقى [١٣]،وتجلس الهبنقعة [١٤]

(١) أبو عوانة : هو الوضاح بن خالد اليشكرى بالولاء، الواسطى البزار ، من حفاظ الحديث الثقات مات بالبصرة .

(٢) القرثع : المهملة البليدة ،أو هى البذيئة القليلة الحياء .

(٣) الفواقر : الدواهى والأمور العظيمة .

(٤) جار المقامة : هو الجار الملاصق الدائم الذى لا يفارقك إما فى منزل أو فى سفر وغيره.

(٥) لسنتك : أخذتك بلسانها وذكرتك بالسوء .

(٦) انظر « عيون الأخبار» كتاب النساء (٤/ ٦) .

(٧) الكنائن : جمع كنة ، وهى امرأة الابن بالنسبة لوالد الزوج .

(٨) رهطها : أهلها وقومها أى عائلتها .

(٩) البرزة : الموثوق برأيها وعفافها ، أو البارزة المحاسن ، الرائعة الجمال .

(١٠) الحيية : الكثيرة الحياء .

(١١) الغلام : هو الصبى الصغير .

(١٢) الطلعة الخبأة : التى تطلع كثيرا ثم تختبئ .

(١٣) الدفقى : المشى الواسع .

(١٤) الهبنقعة : أن تتربع وتمد إحدى رجليها فى تربعتها .

الذليلة فى رهطها ، العزيزة فى نفسها، التى فى بطنها جارية وتتبعها جارية [١] .

وعن خالد بن صفوان قال : « من تزوج امرأة فليتزوجها عزيزة فى قومها ، ذليلة فى نفسها » أدبها الغنى » وأذلها الفقر » حصانا من جارها [٢] ، ماجنة على زوجها [٣].

وقال الفرزدق الشاعر [٤] :

يأنس عند بعولهن إذا خلوا   وإذا هم خرجوا فهن خفار [٥]

من وصايا الأولياء للنساء عند الهداء [٦]

١- لما زوج عامر العدوانى[٧] ابنته من ابن أخيه ، وأراد تحويلها إليه قال لأمها : مرى ابنتك ألا تنزل مفازة [٨] إلا ومعها ماء فإنه للأعلى جلاء وللأسفل نقاء ، ولا تكثرى مضاجعته ، فإنه إذا مل البدن مل القلب، ولا تمنعه شهوته، فإن الخطوة فى الموافقة، فلم تلبث شهرا حتى جاءته مشجوجة [٩]، فقال لابن أخيه : يا بنى ارفع عصاك عن بكرتك فإن كانت نفرت من غير أن تنفر فذلك الداء الذى ليس له دواء ، وإن لم يكن بينكما وفاق ، ففراق الخلع أحسن من الطلاق ، ولن تترك مالك وأهلك، فرد عليه صداقه وخلعها ، فهو أول من خلع من العرب .

---

(١) الجارية : البنت الصغيرة .

(٢) الحصان : الممتنعة من غير زوجها، الرزينة العفيفة .

(٣) الماجنة على زوجها : المتحببة العاشقة لزوجها .

(٤) الفرزدق : الشاعر المعروف .

(٥) الخفر : الحياء والعفة .

(٦) الهداء : الزفاف .

(٧) هو عامر بن الظرب العدوانى أحد حكماء العرب المشهورين » وكان شاعرا .

(٨) المفازة : الصحراء الواسعة التى لا ماء فيها .

(٩) مشجوجة : أى شجت وجرحت من أثر الضرب .

٢- قال الفرافصة الكلبي لابنته [١] حين جهزها إلى عثمان بن عفان - رضى الله عنه- يا بنية إنك تقدمين على نساء قريش وهن أقدر علـى الطيب منك ، فلا تغلبي على خصلتين: الكحل والماء، وتطهرى حتى يكون ريحك ريح شن [٢] أصابه المطر.

٣- كان الزبرقان بن بدر[٣] إذا زوج ابنة له دنا من خدرها وقال لها : أتسمعين ما أقول : كونى له أمة يكن لك عبدا [٤].

٤- قال أبو الأسود الدؤلى لابنته : إياك والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق ، وعليك بالزينة، وأزين الزينة الكحل، وعليك بالطيب ، وأطيب الطيب إسباغ الوضوء [٥]، وكونى كما قلت لأمك فى بعض الأوقات :

خذى العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب [٦]

فإني وجدت الحب فى الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

من وصايا الأزواج والآباء

عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أنه قال : النساء عورة ، فاستروها فى

(١)هى نائلة بنت الفرافصة بن عمرو ، وهى القائلة عندما حملت وقد كرهت الغربة وحزنت لفراق أهلها ، وهى تخاطب أخاها ، وقد تولى أمر تزويجها .

لقد كان فى أبناء حصن بن ضمضم ... لك الويل ما يغنى الخباء المنيا

(٢)الشن : القربة الصغيرة ، جمعه : شنان .

(٣)هو حصين بن بدر بن امرئ القيس ، كان سيدا فى الجاهلية ، عظيم القدر فى الإسلام ، وكان شاعرا محسنا .

(٤)انظر : عيون الأخبار (٤/ ٧٦) .

(٥)إسباغ الوضوء : إتمامه وإطالته والمحافظة عليه .

(٦)السورة : شدة الغضب، وهذا من عظيم الأشياء التى إذا فعلتها المرأة كانت عاقلة راشدة ، وهو أن تمتص غضب زوجها ، فلا تقف أمامه فى وقت غضبه ولا ترد عليه أحيانا إلا بكلام يهدئ من روعه وغضبه .

البيوت وداووا ضعفهن بالسكوت[(١)] .

وفى حديث آخر أنه قال : لا تسكنوا النساء الغرف[(٢)] ، ولا تعلموهن الكتاب، واستعينوا عليهن بالعرى[(٣)] والجوع ، وأكثروا لهن من قول : لا . فإن نعم تغريهن على المسألة .

وقيل لرجل كان غيورا على بناته[(٤)]: من خلفت فى أهلك ؟ فقال : الحافظين: العرى والجوع ، يعنى أنه يجيعهن فلا يمزحن، ويعريهن فلا يمرحن ، ولا يخرجن كثيرا خارج البيت[(٥)]، فإن الترف والنعيم وكثرة المال ، والشبع ، يجعل المرأة تتمرد على معيشتها ويجعلها تنظر إلى من هو أعلى منها .

وقال ابن المقفع[(٦)]: إياك ومشاورة النساء[(٧)] ، فإن رأيهن إلى أفن[(٨)] ، وعزمهن إلى وهن[(٩)] ، واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن[(١٠)] ، فإن شدة الحجاب خير لك من الارتياب ، وليس خروجهن بأشد من دخول من لا تثق به عليهن ، فإن استطعت ألا يعرفن عليك فافعل[(١١)] ، ولا تملكن امرأة من الأمر ما

---

(١) أى لا ترد عليه المرأة فى بعض الأحيان : كوقت الغضب .

(٢) جمع غرفة : وهى الغرفة فى المكان الواضح والظاهر فى البيت ، كمكان استقبال الأضياف.

(٣) العرى : التضييق عليهن فى اللباس والزينة .

(٤) القائل : هو عقيل بن علفة . انظر عيون الأخبار (٤/ ٧٦-٧٧) .

(٥) ولذا فقد جعل الشرع خروج المرأة للضرورة فقط مع الالتزام بالزى الشرعى حتى لا تفتن أحدا ، ولا يفتتن بما يزينه من المظاهر والزينة .

(٦) انظر عيون الأخبار كتاب النساء باب سياسة النساء (٤/ ٧٨) .

(٧) وفى الأثر : وشاورهن وخالفوهن والقصد هنا أن تؤنس المرأة بالمشاورة لها لكن لا تنفذ رأيها ، فقد حذر النبى ﷺ من ذلك فقال : «لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة »، فضعفها النفسى والعاطفى يجعلها غير مؤهلة لسياسة ورئاسة الرجال ، ولا تستطيع قيادة دفة الأمور.

(٨) الأفن : الضعف فى الرأى والنقص . (٩) الوهن : الضعف فى الإقدام .

(١٠) قال تعالى فى سورة الأحزاب وذكر آية الحجا:﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾ الأحزاب.

(١١) قال النبى ﷺ : « إياكم والدخول على النساء » محذرا من خطر ذلك .

جاوز نفسها [١] ، فإن ذلك أنعم لحالها وأرخى لبالها ، وأدوم لجمالها ، وإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة [٢]، فلا تعد بكرامتها نفسها ، ولا تعطها أن تشفع عندك لغيرك، ولا تطل الخلوة مع النساء فيمللنك وتملهن، واستبق من نفسك بقية، فإن إمساكك عنهن وهن يردنك باقتدار ، خير من أن يهجمن عليك على انكسار ، وإياك والتغاير فى غير موضع الغيرة ، فإن ذلك يدعو الصحيحة منهن إلى السقم .

وكان المأمون [٣] يقول : الغيرة من المرأة والرجل بهيمية، وقال أيضا : هى ضرب من البخل ، وكان محمد بن عمر يقول :

ما أحسن الغيرة فى حينها [٤] وأقبح الغيرة فى غير حين

من لم يزل متهما عرسه متبعا فيها لقول الظنون [٥]

يوشك أن يغريها بالذى يخاف أن يبرزها للعيون

خوف الرجال من النساء

قال رجل للأصمعى [٦] : منعنى علمى بالنساء كثيرًا منهن ، فقد غشيت ألف امرأة، وإن الله لو أحل لرجل ابنته لم تنفعه أو تعذبه [٧] .

وقد عوتب الكسائى [٨] فى ترك التزوج : فقال : وجدت مكابدة العزبة أيسر من مكابدة العيال .

---

(١) يعنى لا يولها من الأمور الخاصة بالرجال شيئا .

(٢) القهرمانة : التى تتدبر شئون البيت .

(٣) المأمون : الخليفة العباسى ، انظر ترجمته فى السير .

(٤) أى فى وقتها ، وإذا دعت الحاجة إليها .

(٥) الظنون : السيئ الظن ومن لا يوثق بخبره .

(٦) انظر عيون الأخبار (٤/ ٨٠) .

(٧) تعذبه : تجعله عذابا .

(٨) الكسائى: إمام في اللغة .

وعن عمارة بن جمرة قال : يُخبر فى بيتى كل يوم ألف رغيف، كلهم يأكله حلالا غيرى ، وكان يأكل رغيفا واحدا « ويقولون فلان رب البيت ، وإنما هو كلب البيت .

وقال آخر :

ولا تأمنوا مكر النساء وأمسكوا عرى المال عن أبنائهن الأصاغر (١)

فإنك لم ينذرك أمر تخافه إذا كنت منه جاهلا مثل خابر (٢)

لا يراك أحد غير زوجك

ويحكى فى ذلك أن سعيد بن بيان التغلبى (٣) سيد بنى تغلب ، وكانت تحته «برة» (٤) وكانت من أجمل النساء ، فقدم الأخطل (٥) الكوفة، فدعاه سعيد بن بيان واحتفل به ونجد بيوته واستجاد طعامه وشرابه ، فلما شرب الأخطل جعل ينظر إلى وجه امرأته « برة » وجمالها ، وينظر إلى وجه سعيد وقبحه، فقال له سعيد : يا أبا مالك أنت رجل تدخل على الخلفاء والملوك فأين ترى هيئتنا من هيئتهم ! فقال : الأخطل : ما لبيتك عيب غيرك (٦) ، فقال سعيد : أنا والله أحمق منك يا نصرانى حين أدخلك منزلى، وطرده ، فخرج الأخطل وهو يقول:

وكيف يداونى الطبيب من الجوى وبرة عند الأعور ابن بيان

---

(١) عرى المال : ما يعول عليه .

(٢) الخابر : الخبير المجرب .

(٣) انظر القصة فى عيون الأخبار (٤/ ٣٥) ط، دار الكتب .

(٤) هى برة بنت أبى هانئ التغلبى .

(٥) الأخطل : الشاعر ، كان نصرانيا .

(٦) أى أنك قبيح وسيئ ، ويقصد ضمنا جمال امرأته وأنه لا يستحقها قلت : فهذا خطر عظيم، أنْ يترك الرجال الأغراب يرون أهل بيتك هكذا دون ساتر ودون أدنى غيرة منك .

أحسنى إليه إن طال العمر، .. لماذا؟!

لأن المرأة غالبا يذهب جمالها وتذبل بهجتها مع تقدم العمر قبل الرجل ، وهنا يريد الرجل الاستبدال بها أو التزوج عليها ، وفى هذا قال الأصمعى : خاصم رجل امرأته إلى قاض، فكأن القاضى شدد على الزوج ، فقال له فى ذلك : أصلح الله القاضى : إن شر نصفى المرأة وآخرهما ، يذهب جهله، ويثوب حلمه، ويجتمع رأيه وإن شر نصفى المرأة آخرهما ، يسوء خلقها ويحد لسانها ، وتعقم رحمها ، فقال له: خذ بيدها فإنها زوجتك .

وطلق أبو الجندى امرأته ، فقالت له : بعد صحبة خمسين سنة ! فقال ما لك عندى ذنب غيره [١]، أى هذا الذى دعانى لأن أطلقك، وقال الأصمعى : ضجر أعرابى بطول حياة امرأته ، فقال :

ثلاثين حولا لا أرى منك راحة لهنك فى الدنيا لباقية العمر [٢]

وقال آخر :

عجوز عليها كره وملاحة وقائلى يا للرجال عجوز [٣]

عجوز لو أن الماء ملك يمينها لما تركتنا بالمياه نخور [٤]

وكانت لرجل من الأعراب امرأة عجوز ، وكانت تشترى العطر بالخبز فقال فى ذلك :

---

(١)الخبر فى عيون الأخبار (٤/ ٤٥) .

(٢)لهنك : الام لام الابتداء ، وهنك : إن للتوكيد ، أبدلت همزتها هاء ، وهذا هو الإبدال السماعى .

(٣)الكرة : لعله يريد كبره أى تقدمت فى السن، ومنها قول جرير فى رثاء زوجته « ولهت قلبى إذ علتنى كبرة» .

(٤)انظر المرجع السابق (٤/ ٤٥) .

عـجـوز ترجى أنْ تكون فـتـيـة وقد غارت العينان وأحدودب الظهر
تدسى إلـى العطار سـلعـة أهلـهـا ولن تصلح العطـار ما أفـسـد الدهر

ولكن هناك من الرجال من يراعى الوفاء عند الكبر

قال أبو الأسود الدؤلى فى امرأته أم عوف :

أبى القلب إلا أم عوف وحبها عجوزا ومن يحبب عجوزا يفند (١)

وقال فى ذلك علقمة بن عبدة (٢) :

فـإن تـسـألونى بالـنسـاء فـإننى خـبـيـر بأدواء النسـاء طـبـيب
إذا شـاب رأس المرء أو قـل مـاله فـليس له فـى ودهـن نصـيـب
يـردن ثراء المـال حـيـث علمنه وشـرخ الشبـاب عندهن عجيب (٣)

أحسني إليه إن طال العمر لماذا؟!

كان عثمان بن عفان رضى الله عنه تزوج نائلة بنت الفرافصة الكلبى - والفرافصة يومئذ نصرانى - وكان وليها مسلما وهو أخـوها فحملها الفرافصة. فلما قدمت على عثمـان وضع لها سريرا وله آخر ، فقـال لها عثمان : إما أن تقـومى ، وإما أن أقوم إليك ، فقالت : ما تجشمت إليك من عرض السماوة (٤) أبعد ما بيننا ، بل أقوم أنا، فقامت حتى جلست معـه على السرير ، فوضع قلنسوته (٥) فإذا هو أصلع ، فقال : يا ابنة الفرافصة، لا يهولنك ما ترين من صلعتى ، فإن وراء ذلك ما تحبين » قالت :

(١) يفند : يلام ويجهل .

(٢) هو علقمة بن عبدة المشهور بعلقمة الفـحل ، أحد شعراء الجاهلية ، وقيل له الفحل من أجل رجل يقال له « علقمة الخصى » .

(٣) شرخ الشباب : شدته وعنفوانه .

(٤) السماوة : موضع بين الكوفة والشام ، وهى بادية معروفة ، والعرض : الناحية .

(٥) القلنسوة : غطاء الرأس كالعمامة ونحوها .

إنى لمن نسوة أحب بعولتهن إليهن الكهول الصلع[١]، فقال : اطرحى درعك ، ثم قال: اطرحى إزارك » قالت : ذاك إليك ، ومسح رأسها ودعا لها بالبركة ، فكانت أحب نسائه إليه ، وولدت منه جارية يقال لها أم مريم .

الشباب والمرأة

عن عبد الله بن محمد القاضى عن أبيه قال : « شباب المرأة من خمس عشرة سنة » ، إلى ثلاثين سنة ، وفيها من الثلاثين إلى الأربعين مستمتع، وإذا اقتحمت العقبة الأخرى حسلت[٢].

وقالت امرأة لابنتها [٣]: أى بنية : أى الرجال أحب إليك :الكهل الجحجاح[٤] ، الواصل المناح[٥]، أم الفتى الوضاح، الذهول الطماح ، قالت : يا أماه :

إن الفتاة تحب الفتى كحب الرعاء أنيق الكلا[٦]

فقالت يا بنية : إن الشباب شديد الحجاب ، كثير العتاب ، فقالت : يا أماه أخشى من الشيخ أن يدنس ثيابى ، ويبلى شبابى ، ويشمت بى أترابى ، فلم تزل بها حتى غلبتها على رأيها ، فتزوجت رجلا فرحل بها إلى قومه ، وكان كهلا ، وفى ذات يوم وهو جالس بفناء داره وهى إلى جانبه ، إذ أقبل شباب من بنى أسد يتنافسون ويتصارعون ، فتنفست ثم بكت، فقال لها : ما يبكيك؟ فقالت : ما لى

---

(١) صلع : من انحسر شعره بمقدم رأسه ، فهو أصلع، وهى صلعاء وانظرى أختى إلى حسن حديث المرأة التى رأت العيب فى زوجها فجعلته ميزة .

(٢) حسلت : رذلت ، والحسيل : الرذال من كل شىء ، وهو السافل الخسيس.

(٣) انظر عيون الأخبار (كتاب النساء ومعاشرتهن (٤/ ٤٨) .

(٤) الجحجاح : السيد الكريم ، المسارع فى الكرم .

(٥) المناح : الكثير العطاء .

(٦) أنيق الكلا : أى العشب الأخضر الزاهى .

وللشيوخ الناهضين كالفروخ ! فقال : ثكلتك أمك « تجوع الحرة ولا تأكل بثديها »[١] فصارت مثلا - ثم قال لها : الحقى بأهلك ، لا حاجة لى فيك .

وكانت لبعض الأعراب امرأة لا تزال تشاره [٢] وقد كان أسن من النكاح فقال له رجل : ما يصلح بينكما أبدا ؟ فقال : لا ، إنه قد مات الذى كان يصلح بيننا (يعنى ذكره) .

وقال رجل لصديق له :

أعنست نفسك حتى إذا أتيت على الخمس والأربعينا [٣]
تزوجتها شارفا فخمة فلا بالرفاء ولا بالبنينا [٤]
فلا ذات مال تزوجتها ولا ولد ترتجى أن يكونا
بها أبدا فالتمسى غيرها لعلك تعطى بغث سمينا [٥]

وقال آخر : كنت أخاف إذا أنا شخت لا تريدنى النساء ، فإذا أنا لا أريدهن ، يعنى عندما كبر .

ولذا قال يزيد بن الحكم :

فما منك الشباب ولست منه إذا سألتك لحيتك الخضابا
وما يرجو الكبير من الغوانى إذا ذهبت شبيبته وشابا

---

(١)أى لا تكون ظئرا وإن آذاها الجوع .

(٢)المشارة : المخاصمة .

(٣)عنست : من العنس ،وهو حبس النفس عن التزويج ومنه (العانس) .

(٤)الشارف : المسنة الهرمة، والفخمة : العبلة الضخمة، والرفاء : الالتحام والسكون .

(٥)الغث : الهزيل .

(٦)القائل هو : أنو شروان ، انظر عيون الأخبار (٤/ ٥١) .

إذا أردت أن تكونى زوجته فى الجنة

وعن أنس قال : قالت أم حبيبة : يا رسول الله المرأة منا يكون لها الزوجان[١] فى الدنيا فتموت فلأيهما تكون فى الآخرة ؟ قال : « لأحسنهما خلقا يا أم حبيبة ، ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة » وعن عطية بن قيس قال : قال : خطب معاوية أم الدرداء فقالت : قال أبو الدرداء : قال رسول الله ﷺ : « المرأة لآخر زوجيها » فلست بمتزوجة بعد أبى الدرداء حتى أتزوجه فى الجنة إن شاء الله تعالى ، ويقال : إنما حرم أزواج النبى ﷺ على من بعده لأنهن أزواجه فى الجنة .

فإذا أحببت زوجك وأردت أن تكونى معه فى الجنة فكونى معه حسنة الخلق .

نصيحة رجل لزوجته

قال ابن قتيبة[٢] قال إبراهيم ، قال علقمة[٣] لامرأته : خذى أحسن زينتك ثم اجلسى عند رأسى ، لعل الله أن يرزقك من بعض عوادى خيرا.

وفى بعض الأخبار الصحيحة : « أربع من سنن المرسلين : التعطر والنكاح والسواك والختان » .

مدحت امرأة زوجها بما ليس فيه

قالت امرأة خالد بن صفوان له يوما : ما أجملك قال : ما تقولين ذاك ومالى عمود الجمال ، ولا على رداؤه ولا برنسه ، قالت : ما عمود الجمال وما رداؤه وما برنسه ؟[٤] قال : أما عمود الجمال فطول القوام وفىَّ قصر ، وأما رداؤه فالبياض ولست بأبيض، وأما برنسه فسواد الشعر وأنا أصلع ولكن لو قلت : ما أحلاك ، وما أملحك ، كان أولى .

---

(١) الزوجان: أى الزوج يموت فتتزوج بعده غيره، لا أن تجمع بين الأزواج فهذا محرم على النساء.

(٢) هو عبد الله بن قتيبة الدينورى » صاحب التصانيف ، علامة الأدب .

(٣) هو علقمة بن علقة المرى .

(٤) البرنس : قلنسوة طويلة كانت تلبس فى صدر الإسلام .

زوجة تصف زوجها بمكارم الأخلاق

قال الأصمعى - رحمه الله تعالى - وصفت أعرابية زوجها بمكارم الأخلاق عند أمها فقالت : يا أماه ، من نشر ثوب الثناء فقد أدى واجب الجزاء ، وفى كتمان الشكر جحود لما وجب من الحق ، ودخول فى كفر النعم ، فقالت لها أماه : أى بنية . . . أطيب الثناء ، وقمت بالجزاء ، ولم تدعى للذم موضعا ، إنى وجدت من عقل لم يعجل بذم ولا ثناء ، إلا بعد اختبار ، فقالت يا أماه ، مدحت حتى اختبرت ، ولا وصفت حتى عرفت(١) .

لا تفضحى نفسك أمام زوجك

فإذا أذنبت ذنبا وستره الله عليك ، فلا تخبرين به زوجك ، فعن مريم ابنة طارق أن امرأة قالت لأم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - إن - كريا(٢) - أخذ بساقى وأنا محرمة؟! فقالت عائشة: حجرى - حجرى - وأعرضت عنها بوجهها، وقالت : أخرجيها ، فأخرجت المرأة عنها ، ثم أقبلت على النساء فقالت : يا نساء المؤمنين ، إذا أذنبت إحداكن ذنبا ، فلا تخبرن به الناس ، ولتستغفر الله ، ولتتب إليه ، فإن العباد يعيرون ، ولا يغيرون ، والله عز وجل يغير ولا يعير ، وفى لفظ آخر : يا نساء المؤمنين ، ما يمنع المرأة إذا أصابت الذنب فستر عليها أن تستر ما ستر الله عز وجل ، ولا تبدى للناس(٣) ؟!.

أم تنصح ابنتها بعد زواجها

تقول أم أحمد بنت عائشة : قالت لى أمى رحمها الله : . . . يا بنيتى . . . لا تفرحى بفان ، ولا تجزعى من ذاهب ، وافرحى بالله ، واجزعى من سقوطك من

---

(١) انظر أمالى القالى للبغدادى (١/ ٢٢١) لأبى على القالى .

(٢) هو الذى يؤجر للناس دواب تحملهم إلى الحج .

(٣) أخرجه ابن سعد (٨ / ٤٨٨-٤٨٩) فى طبقاته - والخرائطى (٤٢٣) فى مساوئ الأخلاق وأورده صاحب المطالب العالية (٢٥٨٣) وعزاه لمسدد .

عين الله ، والزمي الأدب ظاهرا وباطنا ، فما أساء أحد الأدب ظاهرا إلا عوقب ظاهرا ، وما أساء أحد الأدب باطنا إلا عوقب ، وقالت : من استوحش بوحدته فذاك لقلة أنسه بربه [١] .

وقالت عبدة أخت أبي سليمان رحمهما الله : « الزهد يورث الراحة فى القلب ، وسخاء النفس بالمال » [٢] فالقناعة بما قسمه الله من أعظم الراحة للنفس ، وكانت فطيمة امرأة حمدون القصار - رحمها الله - تقول : من عرف نفسه لم يتسم إلا بالعبودية ، ولا يفتخر إلا بمولاه ، ومن أبصر نعم الله عليه شغله القيام بشكرها عن كل شيء [٣] .

وقالت هند بنت المهلب : « النساء ما زين بشيء كأدب بارع تحت لب طاهر » [٤] .

وقالت : « ما رأيت لصالح النساء وشرارهن خيرا لهن من إلحاقهن [٥] بإسكانهن » [٦] .

امرأة تعلم زوجها الآداب

قال محمد بن سيرين - رحمه الله - تزوجت امرأة من بنى تميم ، فلما كانت ليلة البناء دخلت عليها ، فإذا هى جالسة على باب خدرها ، فأهويت إليها بيدى ، فقالت : مهلا ، على رسلك .

فحمدت الله وأثنت عليه ، ثم قالت : إن الله عز وجل يضع العلم حيث يشاء،

---

(١) أخرجه السلمى (٨٥) وابن الجوزى (٤/ ١٢٥) وأورده كحالة فى الأعلام (٣/ ١٥٨) .

(٢) طبقات المتعبدين (٨٩) للسلمى .

(٣) المرجع السابق (ص ٩٥) .

(٤) تاريخ دمشق (ص ٤٦٥) والأعلام لكحالة (٥/ ٢٤٥) .

(٥) إلحاقهن : سترهن .

(٦) تاريخ دمشق (ص ٤٦٥) ، والأعلام (٥ / ٢٥٤) .

وإنه بلغنى أن الرجل إذا دخل بيتــه يؤمر أن يصلى ركعتين وتصلى المـرأة خلفه ، فإذا فـرغ قـال : اللهم بارك لى فـى أهلى ، وبارك لأهلى فى ، اللهم ارزقـنى منهم ، وارزقهم منى ، اللهم ارزقـنى ألفتهم ومـودتهم ، وارزقهم ألفتى ومـودتى ، وحبب بعضنا إلى بعض .

قال : فقمت ففعلت ذلك ، فلما فـرغت أهويت إليها ، فقالت : مهلا ، على رسلك « إن الرجل يؤمر إذا أراد غشـيان أهله أن يدعو قبل ، فيـقول : اللهم جنبنا الشيطان » وجنبه ما رزقتنا ، ولا تجعل له فـينا نصيبا ، قال : ففعلت ذلك فلم أزل أعرف بعد ذلك الألفة » واللطف » والخير »[(١)] .

تمسكى به لآخر لحظة

وإن منعك الناس عنه ، وإن حدث بينكمـا ما حدث ، فبينكما مـا هو أكبر من ذلك كله ، هذا هو الميـثاق الغليظ ، والرابطة القوية ، وقـد سماه الله تعـالى ميثـاقا غليظا فى قوله ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: ٢١] أى عقد النكاح ، ومن أعظم الشر المـوجود فى الأرض هو التفـريق بين الزوجين ، وهذا ما يطمح الـشيطان إليه بل هذا من أعلى المـطالب لديه، وأصل الشر الكثيـر وغالب الفسـاد بسبب ذلك لأنه يؤدى إلى تدمير الأسرة وتشريد الأولاد حـتى يكونوا بذرة للفساد والهلاك ، فلا أحد يرعاهم ويكلؤهم ، وتظل المرأة بلا زوج . . . إلى آخره ويحكى عن أعرابى أنه كان يحب زوجـته حبا شـديدا لدرجة الجنون ، وسيتـبين فى آخر القصة أنهـا كانت كذلك تحبه.

قال ابن الجوزى فى كتاب « أخبار النساء »[(٢)] : كان معاوية بن أبى سفيان جالس

---

(١) أدب النسـاء (٢/ ١٥٩) برقم (٣٨) للعلامة عبـد الملكَ بن حبيب - رحمه الله - وانظر : أورع المواعظ للنساء : مجدى فتحى السيد . م . التوفيقية .

(٢) أخبار النساء (١٣ -١٦) ط. دار المعرفة . بيروت .وورد الخبر فى نوادر الأخبار بعنوان بمن أستجير من جورك .

ذات يوم بمجلس كان له بدمشق على قارعة الطريق ، وكان المجلس مفتح الجوانب لدخول النسيم ، فبينما هو على فراشه وأهل مملكته بين يديه ، إذ نظر إلى رجل يمشي نحوه وهو يسرع في مشيته راجلا (١) حافيا ، وكان ذلك اليوم شديد الحر ، فتأمله معاوية ثم قال لجلسائه : لم يخلق الله ممن احتاج إلى نفسه في مثل هذا اليوم، ثم قال : يا غلام سر إليه واكشف عن حاله وقصته ، فوالله لئن كان فقيرا لأغنينه، ولئن كان شاكيا مظلوما لأنصرنه (٢)، ولئن كان غنيا لأفقرنه ، فخرج إليه الرسول ، فسلم عليه فرد عليه السلام ، ثم قال له : ممن الرجل ؟ قال : أنا أعرابي من بني عذرة (٣) : أقبلت إلى أمير المؤمنين مشتكيا إليه بظلم نزل بي من بعض عماله (٤) ، فقال له الرسول : تعالى معي .فلما دخل على معاوية أنشأ يقول :

معاوي يا ذا العلم والحلم والفضل ... ويا ذا الندى والجود والنابل الجزل (٥)

أتيتك لما ضاق في الأرض مذهبي ... فيا غيث لا تقطع رجائي من العدل(٦)

وجد بإنصاف من الجائر الذي ... شواني شيا كان أيسره قتلي (٧)

سباني سعدى وانبرى لخصومتي ... وجار ولم يعدل ، وأغضبني أهلي(٨)

أغثني جزاك الله عني جنة ... فقد طار من وجد بسعدى لها عقلي

---

(١) راجلا : يمشي على رجليه بلا نعل .

(٢) هكذا كان أمراء الإسلام ، الحكم بالعدل ونصرة المظلوم .

(٣) بنو عذرة: موضع بالبادية :يقال إنه كان فيه يوم من أيام العرب ، وقيل موضع في بلاد غطفان بين خيبر وجبلي طيء ،هذا اليوم أغار فيه أبو بشر العذرى على بني مرة وفيه ديار بنو عذرة، وكانوا مشهورين بالعشق والهيام انظر : طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام . ط .دار المدني (٢/ ٦٧٢) .

(٤) العامل : الأمير على مصر من الأمصار كالوالي .

(٥) التقدير : يا معاوية .

(٦) الغيث : بمعنى العون والإغاثة .

(٧) أي كان أهون عليه القتل مما فعله معه من أخذ زوجته .

(٨) سعدى : اسم زوجته التي يحبها .

فلما فرغ من شعره قال له معاوية: يا أعرابى إنى أراك تشتكى عاملا من عمالنا! قال : أصلح الله أمير المؤمنين، هو والله ابن عمك مروان بن الحكم عامل المدينة ، قال معاوية : وما قصتك معه يا أعرابى قال : أصلح الله أمير المؤمنين ، كانت لى ابنة عم خطبتها إلى أبيها فزوجنى منها ، وكنت مولعا بها عاشقا لما كانت فيه من كمال جمالها وعقلها والقرابة، فبقيت معها يا أمير المؤمنين ، فى أصلح حال وأنعم بال ، مسرورا زمانا ، قرير العين بها ، وكانت لى قطعة من الإبل وبعض الغنم ، وكنت أنفق عليها وعلى نفسى بها ، فدارت عليها أقضية الله وحوادث الدهر ، فوضع فيها داء فذهبت بقدرة الله ، فبقيت لا أملك شيئا ، وصرت ثقلا على وجه الأرض ، فلما بلغ ذلك أباها حال بينى وبينها ، وأنكرنى وجحدنى ، وطردنى ودفعها عنى ، فلم أقدر لنفسى بحيلة ولا نصرة ، فأتيت إلى عاملك مروان بن الحكم مشتكيا بعمى ، فبعث إليه ، فلما وقف بين يديه ، قال له مروان : يا أيها الرجل لم حلت بين ابن أخيك وزوجته ؟ قال : أصلح الله الأمير ، ليس له عندى زوجة ولا زوجته من ابنتى قط ، قلت أنا : أصلح الله الأمير ، أنا راض بحكم الجارية ، فإن رأى الأمير أن يبعث إليها ويسمع منها ما تقول ؟ فبعث إليها فأتت الجارية مسرعة ، فلما وقفت بين يديه ونظر إليها وإلى حسنها وقعت منه موقع الإعجاب والاستحسان ، فصار لى - يا أمير المؤمنين خصما وانتهرنى ، وأمر بى إلى السجن ، فبقيت كأنى خررت من السماء فى مكان سحيق، ثم قال لأبيها بعدى : هل لك أن تزوجها منى ، وأعطيك ألف دينار ، وأزيدك أنت عشرة آلاف درهم تنتفع بها ، وأنا أضمن لك طلاقها ؟ قال له أبوها : إن أنت فعلت ذلك زوجتها لك، فلما كان من الغد بعث إلى ، فلما أدخلت عليه نظر إلى كالأسد الغضبان ، فقال لى : يا أعرابى طلق سعدى[1] . قلت : لا أفعل . فأمر بضربى ثم ردنى إلى السجن ، فلما كان اليوم الثانى قال : على بالأعرابى ، فلما وقفت بين يديه ، قال:

---

(١) قلت : هذا طلاق المكره ، وهو مختلف فيه بين العلماء والراجح أنه لا يقع لقوله ﷺ : «رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

طلق سعدى . فقلت : لا أفعل . فسلط على يا أمير المؤمنين - خدامه فضربونى ضربا لا يقدر أحد على وصفه، ثم أمر بى إلى السجن - فلما كان فى اليوم الثالث قال : على بالأعرابى ، فلما وقفت بين يديه قال : على بالسيف والنطع (١) وأحضر السياف ، ثم قال : يا أعرابى ، وجلالة ربى ، لئن لم تطلق سعدى لأفرقن بين جسدك وموضع لسانك ، فخشيت على نفسى القتل فطلقتها طلقة واحدة على طلاق السنة (٢) ، ثم أمر بى إلى السجن فحبسنى فيه حتى تمت عدتها ثم تزوجها ، فبنى بها، ثم أطلقنى ، فأتيتك مستغيثا قد رجوت عدلك وإنصافك ، فارحمنى يا أمير المؤمنين ، فوالله لقد أجهدنى الأرق وأذابنى القلق ، وبقيت فى حبها بلا عقل ، ثم بكى ، وانتحب حتى كادت نفسه تفيض ، ثم أنشأ يقول :

فى القلب منى نار ... والنار فيه الدمار
والجسم منى سقيم ... فيه الطبيب يحار (٣)
فليس ليلى ليل ... ولا نهارى نهار
فارحم كئيبا حزينا ... فؤاده مستطار (٤)
اردد على سعادى ... يثيبك الجبار

ثم خر مغشيا عليه بين يدي أمير المؤمنين كأنه قد صعق به قال : وكان ذلك الوقت معاوية متكئا ، فلما نظر إليه هكذا قام ثم جلس ، وقال : إنا لله وإنا إليه

(١) النطع : بساط من جلد ، كثيرا ما كان يقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل أو الإعدام ، يقال : على بالسيف والنطع .

(٢) طلاق السنة: أن يطلقها طاهرا من غير جماع واحدة، ثم يدعها حتى تنقضى عدتها ، أما طلاق البدعة ، فهو أن يطلقها وهى حائض أو فى طهر جامعها فيه- انظر المغنى لابن قدامة (١٠/ ٣٢٥) .

(٣) يحار : يحتار : يتحير .

(٤) مستطار : هائج مفزوع .

راجعـون، اعتدى والله مـروان بن الحكم ضرارا فى حدود الدين ، وإحـسارا[١] فى حرم المسلمين ، ثم قـال : والله يا أعرابى لقد أتيـتنى بحديث ما سـمعت بمثله ، ثم قال : يا غلام على بدواة وقرطاس ، فكتب إلى مـروان « أما بعد ، فإنه بلغنى عنك أنك اعـتديت على رعـيـتك في بعض حـدود الدين ، وانتهكـت حرمـة لرجل من المسلمين ، وإنما ينبـغى لمن كان واليـا على بلد أو أقليم أن يغض بصـره وشهـواته ، ويزجر نفسه عن لذاته ، وإنما الوالى كالراعى لغنمـه، فإذا رفق بها بقيت معه ، وإذا كان لها ذئبا فمن يحوطها بعده ، ثم كتب بهذه الأبيات :

قـد كنت عـندي ذا عـقل وذا أدب ... فـاسـتـغـفـر الله من فـعل امـرئٌ زان
حـتـى أتانا العـذرى منتـحـبـا ... يشكـو إلـينا ببـث ثـم أحـزان
أعطى الإله يمينا لا أكـفـرها ... حـقـا وأبـرأ من دينى ودبـانى
إن أنت خـالفـتنى فـيـمـا كـتبت به ... لأجـعلنك لحـمـا بين عـقـبـانى
طلق سـعـاد وعـجلـهـا مـجـهـزة ... مع الكميت ومع نصـر بن ذبيـان[٢]
فـاخـتـر لنفـسك إمـا أن تجـود بهـا ... أو أن تلاقـى المنايـا بين أكـفـان

ثم ختم الكتـاب ، وأرسله مع الكميت ونصر بن ذبيـان صاحبى البـريد ، فلما وقفا بين يديه قال : أعطوا الكتاب إلى مروان بيده ، فلما ذهبا إليه ، ووضعا الكتاب بين يديه، فـجعل مروان يقـرؤه ويردده ، ثم قام ودخل عـلى سعدى وهو باك فـلما نظرت إليـه قالت له : مـا الذى يبكيك ؟ قـال : كتـاب أمـيـر المؤمنين ورد علىَّ أن يتركنى مـعك حولين ثم يقتلنى ، فكان ذلك أحب إلى ، فـطلقها وجهـزها ثم كتب إلى معاوية بهذه الأبيات:

(١) إحـسارا : أى انكشافا .

(٢) الكميت ونصر بن ذبيان : كان يستنصحهما فى قضاء حوائج المسلمين لأمانتهما .

لا تعجلن أمير المؤمنين فقد ... أوفى بنذرك فى رفق وإحسان
وما ركبت حراما حين أعجبنى ... فكيف أدعى باسم الخائن الزان
اعذر فإنك لو أبصرتها لجرت ... منك الأماقى على أمثال إنسان [١]
فسوف يأتيك شمس لا يعادلها ... عند الخليفة إنس لا ولا جان [٢]
لولا الخليفة ما طلقتها أبدا ... حتى أضمن فى لحد وأكفان
على سعاد سلام من فتى قلق ... حتى خلقت بأوصاف وأحزان [٣]

ثم دفعه إليهما ، ودفع الجارية ، فلما وردا على معاوية فك الكتاب وقرأ أبياته ثم قال : والله لقد أحسن فى هذه الأبيات ، ولقد أساء إلى نفسه ثم أمر بالجارية فأدخلت إليه ، فإذا بجارية رعبوبة [٤] لا تبقى لناظرها عقلا [٥] من حسنها وكمالها ، فعجب معاوية من حسنها ثم تحول إلى جلسائه وقال : والله إن هذه الجارية لكاملة الخلق فلئن كملت لها النعمة مع حسن الصفة [٦] ، لقد كملت النعمة لمالكها ، فتكلم معها ، فإذا هى أفصح نساء العرب ، ثم قال : على بالأعرابى ، فلما وقف بين يديه قال له معاوية : هل لك عنها من سلو [٧] ، وأعوضك عنها ثلاث جوار أبكار مع كل جارية منهن ألف درهم ، على كل واحدة منهن عشر ثياب من ديباج

---

(١) الأماقى : مجارى العين (وهى دموع العين) .

(٢) لا يعادلها : لا يساويها .

(٣) أوصاب : الوجع والمرض .

(٤) الرعبوب : من النساء : المرأة الغضة الطرية الطويلة الممتلئة الجسم ، أو البيضاء الحلوة الناعمة الحسناء الجميلة : انظر القاموس المحيط : (٣/ ٢٠٤) .

(٥) أى يكاد العقل أن يطير من فرط جمالها وحسن دلها .

(٦) هذه عين الحكمة : إذ قال لابد من حسن الخلق مع الجمال الظاهر .

(٧) السلو : النسيان وانقطاع الذكر .

وحرير وكتان ، وأجعل لك حظا من العطايا والنفقات ؟ فلما أتم معاوية كلامه غشى على الأعرابى وشهق شهقة ظن معاوية أنه قد مات منها ، فلما أفاق قال له معاوية : ما بالك يا أعرابى ؟ قال : شرٌّ بالٍ ، وأسوأ حال ، أعوذ بعدلك يا أمير المؤمنين من جور مروان ، ثم أنشأ يقول :

لا تجعلنى هداك الله من ملك كالمستجير من الرمضاء بالنار (١)
اردد سعاد على حران مكتئب يمسى ويصبح فى هم وتذكار (٢)
فأجمل بفضلك وافعل فعل ذى كرم لا فعل غيرك فعل اللؤم والعار (٣)

ثم قال : والله يا أمير المؤمنين لو أعطيتنى كل ما احتوته الخلافة ما رضيت به دون سعدى ، ولقد صدق مجنون بنى عامر (٤) حيث يقول :

أبى القلب إلا حب ليلى وبغضت إلى نساء ما لهن ذنوب

فلما فرغ من شعره ، قال له معاوية: يا أعرابى؟قال : نعم يا أمير المؤمنين قال : إنك مقر عندنا أنك قد طلقتها ، وقد بانت منك ومن ومروان ، ولكن نخيرها بيننا ، قال : ذاك إليك ، يا أمير المؤمنين ، فتحول معاوية نحوها ثم قال لها : يا سعدى أينا أحب إليك : أمير المؤمنين فى عزه وشرفه وقصوره أم مروان فى غضبه واعتدائه وظلمه ، أو هذا الأعرابى فى جوعه وأطماره (٥)؟ .

---

(١) الرمضاء : شدة الحر ، ويضرب به المثل بالمستغيث بعدوه .

(٢) حران : عطشان .

(٣) يقال : فعل فعل الكرام ، لمن قدر على شىء ثم تركه .

(٤) هو مجنون ليلى المشهور بقيس بن الملوح العامرى ، الذى قتله الحب فى عشق ليلى بنت مهدى العامرية انظر : هدية العارفين (٦ / ٢٦) .

(٥) يقال : « فى جوع وأطمار » كناية عن الفقر وشدة الحاجة .

فأشارت الجارية نحو ابن عمها الأعرابي ، ثم قالت :

هذا وإن كـان فـى جـوع وأطمـار — أعـز عندى من أهـلى ومن جـارى
وصـاحب التـاج أو مـروان عـامله — وكـل ذي درهـم منهـم وديـنـار [١]

ثم قالت : لست والله يا أمير المؤمنين لحدثان الزمان [٢] بخاذلته ولقد كانت لى معـه صحبة جـميلة ، وأنا أحق من صبر مـعه على السراء والضـراء ، وعلى الشدة والرخاء ، وعلى العافـية والبلاء ، وعلى السقم والعافيـة ، وعلى القسم الذى كتب الله لى معه ، فعجب معاوية ومن معه من جلسـائه من عقلها وكمالها ومروءتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم وألحقها فى صدقات بيت المسلمين .

---

(١) حدثان الزمان : نوائبه وحوادثه والحدثان : الليل والنهار .

(٢) صاحب التاج : المقصود : أمير المؤمنين « معاوية » رضى الله عنه ، وبذلك فضلت أن تعيش مع زوجها الفقير ، الذي تحبه مع قلة ماله، على أمير المؤمنين في عزه وشرفه وسلطانه.

امرأة تحب زوجها

ولما قتل عثمان - رضى الله عنه - وقفت يوما على قبره بنت الفرافصة الكلبى هى زوجته نائلة بنت الفرافصة فترحمت عليه ثم انصرفت إلى منزلها ، ثم قالت : إنى رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب ، وقد خفت أن يبلى حزن عثمان فى قلبى ، فدعت بفهر[1] فهتمت فاها وقالت : والله لا يقعد رجل منى مقعد عثمان أبدا ، وخطبها معاوية فبعثت إليه أسنانها ، وقالت : أذات عروس ترى ؟ وقالوا :لم يكن فى النساء أحسن منها مضحكا .

حيلة رجل يحب زوجته

وحكى الهيثم بن عدى ، عن ابن عباس ، قال : كانت عاتكة بنت يزيد بن معاوية عند عبد الملك بن مروان ، وكان يجد بها ويحبها حبا شديدا ، فغضبت عليه فطلب رضاها بكل أمر ، فأبت حتى أضر بها ذلك وشكا إلى خاصته فقال له عمر ابن بلال بن الأسدى : ما لى إن أرضيتها ؟ قال له : حكمك . قال : فخرج فأتاها وجلس بين يديها يبكى فقالت له حاضنتها : ما لك يا أبا حفص ؟ قال : قد جئت إلى بنت عمى فى أمر مهم عظيم ، فاستأذنى لعلها تقضى حاجتى . فقالت : ما بالك ؟ فقال لها : قد عرفتى حالى مع أمير المؤمنين عبد الملك ، ولم يكن لى غير ابنين ، فتعدى أحدهما على الآخر فقتله، فقلت : أنا ولى الدم وقد غفرت، فقال أمير المؤمنين : ما أحب أن أعود رعيتى هذا ، وهو قاتله بالغداة فنشدتك الله ألا كلمته فيه ، وسألته فى إبقائه لى ، فإنك تجمعين فى ذلك إحياءه وإحياء نفسى .

فإنه إن قتله قتلت نفسى. فقالت: ما أكلمه ، فقال لها : ما أظنك تكسبين شيئا أحب فى إحياء نفسين ويبكى بكاء شديدا ، فلم يزل بها صواحبها وخدمها وحاشيتها حتى قالت : على بثيابى . فلبست وكان بينها وبينه باب قدر ردمته فأمرت بفتحه ثم دخلت فأقبل أحد الغلمان فقال : يا أمير المؤمنين هذه عاتكة . قال : ويلك رأيتها ؟

---

(١) الفهر : الحجر الصلب مع نعومته .

قال : نعم يا أمير المؤمنين : وإذا هى قد أقبلت وعبد الملك على سريره ، فسلمت ، فسكت ، فقالت : أما والله لولا مكان عمر بن بلال ما فعلت ، ولا أتيتك والله ، إن عدا أحد بنيه على الآخر فقتله وهو الولى وقد عفا عنه ، لقتله ؟ قال : أى والله وهو راغم .

قالت : أنشدك الله أن لا تفعل . فدنت فأخذت بيده ، فأعرض عنها ، فأخذت أرجله فقبلتها ، فأكب عليها وضمها إلى نفسه ورفعها على سريره ، وقال قد عفوت عنه فتراضيا .

وراح عبد الملك فجلس مجلس الخاصة ، فدخل عمر بن بلال ، فقال : يا أبا حفص ألطفت الحيلة فى القيادة فلك حكمك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، ألف دينار موزعه بما فيها من الرقيق والآلة . قال : هى لك . قال ومرابضى لولدى وأهل بيتى، قال : وذلك كله لك . . . وبلغ عاتكة الخبر فقالت : ويلى على القواد خدعنى.

لا تكونى مثل هؤلاء

يحكى أن الحجاج بن يوسف قال لأصحابه ذات يوم : إنه لا يجتمع لرجل لذة حتى تجتمع أربع حرائر فى منزله يتزوجهن ، فسمع بذلك شاعر من أصحابه يقال له الضحاك ، فعمد إلى كل ما يملكه فباعه وتزوج أربع نسوة ، فلم توافقه واحدة منهن، فأقبل إلى الحجاج فقال : سمعتك - أصلحك الله - تقول : لا تجتمع لرجل لذة حتى يتزوج أربع حرائر ، فعمدت إلى قليلى وكثيرى وتزوجت أربعا ، فلم توافقنى واحدة منهن : أما واحدة منهن فلا تعرف الله ولا تصلى ولا تصوم ، والثانية حمقاء ولا تتمالك ، والثالثة مذكرة [1] متبرجة ، والرابعة ورهاء [2] لا تعرف ضرها من نفعها ، وقد قلت فيهن شعرا . قال : هات ما قلت لله أبوك ! فقال :

---

(١) مذكرة : تشبه الرجال .

(٢) الورهاء : الخرقاء .

تزوجت أبغى قرة العين أربعا   فيا لتنى والله لم أتزوج
فواحدة لا تعرف الله ربها   ولم تدر ما التقوى ولا ما التحرج
وثانية حمقاء تزنى مخانة   تواثب من مرت به لا تعرج
وثالثة ما إن توارى بثوبها   مذكرة مشهورة بالتبرج
ورابعة ورهاء فى كل أمرها   مفركة هوجاء من نسل أهوج (١)
فهن طلاق كلهن بوائن   ثلاثا بتاتا فاشهدوا لا أجلج (٢)

فضحك الحجاج وقال : ويلك ! كم مهرتهن ؟ قال : أربعة آلاف أيها الأمير ، فأمر له باثنى عشر ألف درهم (٣) .

وقيل لأعرابى آخر : من لم يتزوج امرأتين لم يذق حلاوة العيش فتزوج امرأتين ثم ندم ، فأنشأ : يقول (٤) :

تزوجت اثنتين لفرط جهلى   بما يشقى به زوج اثنتين
فقلت أصير بينهما خروفا   أنعم بين أكرم نعجتين
فصرت كنعجة تضحى وتمسى   تداول بين أخبث ذئبتين
رضا هذى يهيج سخط هذى   فما أعرى من إحدى السخطتين
وألقى فى المعيشة كل بؤسى   كذلك الضر بين الضرتين
لهذى ليلة ولتلك أخرى   عتاب دائم فى الليلتين
فإن أحببت أن تبقى كريما   من الخيرات مملوء اليدين
فعش عزبا فإن لم تستطعه   فضربا فى عراض الجحفلين

---

(١) مفركة : المرأة التى يبغضها الرجال .
(٢) تلجلج : اضطرب وتردد. يعنى لا يرجع فيما قرره من أمر .
(٣) القصة وردت فى أمالى القالى (١/ ٤٧) .
(٤) انظر الأمالى (٢/ ٣٥) .

وإن حدث بينكما شر فتذكرى حديث النسوة اللاتى وصفن محاسن الزوج

كان هنـاك ملك من ملوك حمـير (١) منع الولد دهرًا طويلا ، ثم ولدت له بنت فبنى لهـا قصرا منيفـا بعيدا عن الناس ، ووكل بهـا نسـاء من بنات أقاربها يخـدمنها ويؤدبنها حتى بلغت مبلغ النساء ، فتشـأت أحسن منشأ وأتمه ، فى عقلها وكمالها ، فلما مـات أبوها ملكها أهلهـا ما ترك ، فاصطـنعت النسوة اللواتى ربينهـا وأحسنت إليهن ، وكانـت تشاورهن ولا تقطع أمرا دونهن، فقلن لهـا يوما : يا بنت الكرام ، لو تزوجت لتم لك الملك ، فقـالت : وما الزوج ؟ فقالت إحـداهن : الزوج عز فى الشدائد ، وفى الخطوب مساعد ،إن غـضبت عطف ، وإن مرضت لطف ، قالت : نعم الشيء! فقالت الثـانية : الزوج شعارى واعتمـادى ، ومتكئ حين أرقد ، وأنسى حين أفرد ، فقـالت : إن هذا كمال طيب العيش ، فقـالت الثالثة : الزوج لما عنانى كاف ،الزوج لمـا شفنى شاف، يـكفينى فـقد الألاف (٢) ، ريقه كـالشهـد ، وعناقه كـالخلد، لا يمل قرنه، ولا يـخاف حـرانه، فقـالت : أمـهلننى أنظر فـيمـا قلتن ، فاحتجـبت عنهن سبعا (٣) ثم دعتهن فـقالت : قد نظرت فيمـا قلتن فوجدتنى أملكه رقى ، وأبثه بأكلى وحقى ، فإن كان محمـود الخلائق ، مأمون البوائق، فقد أدركت بغيتى ، وإن كان غير ذلك فقـد طالت شقوتى ، على أنه لا ينبغى إلا أن يكون كفئا كريما يسـود عشيـرته ، ويرب فصيلتـه ، لا أتقنع به عارا فى حـياتى ، ولا أرفع به شنلا (٤) لقـومى بعد وفـاتى ، فبـحثن لهـا عن زوج بهذه الأوصـاف فتـزوجتـه ، واحتـجبت عن نسائها شـهرا ثم برزت لهن ، فأجـزلت لهن الجزاء ، وأعظمت لهن العطاء (٥) .

---

(١) حمير : مدينة فى اليمن .

(٢، ٣، ٤، ٥) انظر الأمالى (١/ ٨٠) .

علمتنى زوجتى

كان يوما قائظا وكان العرق يتصبب من جبين الأعرابى ، وهو يكسر حجارته ، ومع آخر ضربة لها كانت قواه قد خارت ، فمشى يثاقل فى خطواته ، فلما دخل المنزل وجد زوجته بصوتها الصاخب تزمجر وتوبخ ، ورأته على هذه الحال فلم تلق إليه بالا ، وراحت فى صحن الدار وعادت ، وكأن لم يدخل الرجل الدار قط ، وحبس الأعرابى غصته فى حلقه، وراحت صور الرجال فى حياتهم مع نسوتهم تتراءى أمام عينيه . . . « هذه سودة بنت زمعة يموت زوجها السكران بن عمرو ، فتبقى مهيضة الجناح ، معرضة لنكال أبيها المشرك ، فلا سند لها ولا كافى إلا الله ، فيرثى الرسول ﷺ لحالها ، ويقبلها زوجا على كبر سنها ، ولترعى بناته اليتامى حدث الرجل نفسه بهذا ، ثم أردف إنها عجوز ، ومع ذلك فقد صبر عليها الرسول ﷺ ، فلأصبر على زوجتى لعل خلُقُها يعتدل ، وراح الأعرابى يحادث زوجته ، فإذا بها تطالبه بحقوقها ، وحسب أن لا طاقة له على ذلك ، ثم علا صوتها فضاق بها ذرعا وأنكر عشرتها وقال لها : ألم تسمعى ما قاله رسول الله ﷺ ؟ صدق رسول الله . . . ولكن ولكن ماذا ؟ ألم يقل : « **لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها** » وأى حق تدعيه ؟ لك عملك ولى عملى، وهؤلاء الأولاد. . . فقاذعها قائلا : ما بالهم ؟ إنهم يتعبوننى بضجيجهم ومطالبهم إن تربيتهم لشاقة عسرة ، ولكن . . . ولكن ماذا ؟ أدبيهم . . . ومثلى لهم السيرة الحسنة يكونوا صالحين هادئين ، ولم لا تكون أنت لهم القدوة الحسنة ؟ أنت!! . . . لن ينفع معك نصح . . . دع نصائحك لك ، فلقد ضقت ذلك ذرعا . والله لأشكونك إلى أمير المؤمنين.

وخرج الأعرابى ضجرا مما سمع ورأى . . . ولما طرق باب أمير المؤمنين سمع صوت امرأة يستطيل ، وهى تقول : اتق الله يا عمر فيما ولاك . . . فقال الرجل لنفسه وقد همَّ بالانصراف: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين عمر فلن أبالى بعد اليوم، وخرج عمر فرآه يولى دبره ، فناداه : ما حاجتك يا أخا الإسلام ؟ قال: قد عرفت

جواب قصتى » وكأنما أدرك بفراسته ما بنفس الرجل ، فنظر إليه مليا ثم قال : أقسمت عليك إلا أن تقول ، قال: يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك زوجتى ، واستطالتها علىَّ فرأيت عندك ما زهدنى ، فتصورت أن عندك أكثر مما عندى فهممت بالرجوع وأنا أحوقل[يعني يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله] إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجه فلأرض بما قسم الله لى .

فتبسم عمرو وقال : يا أخا الإسلام : إنى أحتملها لحقوق لها على إنها طباخة لطعامى ، خبازة لخبزى ، مرضعة لأولادى، غاسلة لثيابى، وبقدر صبرى عليها يكون ثوابى . وما أرق قلبك يا عمرو فى عشرة أهلك وما أشد بأسك فى حكمك! أشتد فيما يتعلق بأمور المسلمين عامة ، وإن رأيت انحرافا أو بعدا عن جادة الحق ، أو تراخيا فى الواجب . وشأنك الخاص ؟ أعفو وأصفح ألم يقل الله سبحانه : ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى : ٤٣] أو لم يعلمنا الإسلام أن للزوجة حقا علينا، وأنها أمانة فى أعناقنا، ولا إيمان لمن لا أمانة له ، أليس المؤمنون فى توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، فما بالك يا رجل لا تتخلق بخلق القرآن ؟

- جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين ، ولكن زوجتى لا تحتمل الأولاد .

- وهل تلاطف أنت أهلك وولدك ؟

- أعود متعبا لا طاقة لى ولا احتمال .

- وتتركهم وشأنهم حتى إذا ما خرجت ثار الولد فى وجهها معبرين عن ضيقهم الذى كظمه إبان وجودك !! أليس كذلك ؟

الأعرابى يسكت. . . .

ويتابع عمر :

- ولهذا ملت الزوجة عشرتك .

- وهل تلاطف أولادك يا أمير المؤمنين ؟ - أجل . . . وكان الرسول ﷺ يلاعب أبناءه الحسن والحسين ، فيركبان على ظهره ، ويمشى بهما قائلا : « **نعم المطية مطيتكما ، ونعم الراكبان أنتما** » .

الأعرابى فى دهشة :

- أهكذا إذا . . .

وتابع عمر :

- ولقد طلبت بالأمس رجلا لأوليه عملا ، فلما دخل علىّ رآنى ألاعب أولادى، فأنكر علىّ هذا ، فلم أسند له العمل ، لأنه قاسى الطبع جافى المعاملة ، وإذا كانت هذه حاله مع الأولاد ، فإنه مع القوم أظلم وأقسى .

- صدقت يا أمير المؤمنين .

- والرسول ﷺ قال : « **خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى** » .

- لقد علمتنى اليوم درسا لا أنساه ما حييت ، وسأكون إن شاء الله لين الجانب فى عشرتى لزوجتى وأولادى .

- وحينذاك تكون زوجتك لك كما كانت أم حبيبة لرسول الله ﷺ .

- وكيف كانت ؟

- جاء أبوها ذات يوم فجلس على فراش رسول الله ﷺ فمنعته وطوت الفراش.

- طوت الفراش عن أبيها ؟ !! . .

- أجل .

- وماذا فعل ؟ - قال لها : أهذا الفراش لا يليق بى وبمقامى ومكانتى ؟ أم أننى لست أهلا لأن أجلس عليه ؟

- وماذا أجابته ؟

- قالت : إن الشرك باعد بينك وبين رسول الله ﷺ زوجى، أنت مشرك نجس وزوجى نبى طاهر .

- هيه !! . .

ثم أردف :

- وماذا قال أبوها ؟

- قال : يا بنية ، والله لقد أصابك بعدى شر، فقالت : لا ، بل هدانى الله إلى الإسلام ، ثم أضافت : واعجبا منك يا أبت أنت سيد قريش وكبيرها تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر ؟

- وما كان جوابه ؟

- قال : لن أتخلى عن دين آبائى وأجدادى .

- إنها مؤمنة حقا .

- وخلق زوجها الرسول ﷺ زادها إيمانا وتقوى ، ألم يقل الرسول ﷺ « رفقا بالقوارير ؟ » ، أو لم يحتمل من السيدة عائشة أم المؤمنين غيرتها وشكواها له إلى أبيها ؟ ولما ضربها والدها أبو بكر قال له : «دعها يا أبا بكر ، لتتكلم » .

- أهكذا إذا ؟ !! . .

- أو لا تحضر مجالس العلماء لتتفقه فى دينك وحياتك ؟

- لا يا أمير المؤمنين ، أنا رجل أعمل صباح مساء ، ولا وقت لدى من أجل ذلك !! .

- ولم تعمل هذا الوقت كله ؟

- عيالى كثيرون يا أمير المؤمنين .

- لو جئتنا وعرضت شكواك لأعطيناك من مال المسلمين ، ولا يكلف الله نفسا

إلا وسعها ، وفر وقتا للعلم والعبادة يا رجل .

- جزاك الله خيرا من أمير راشد، ترشد إلى خير أمر الدين والدنيا معا.

وانصرف الرجل عازما على أن يكون رجلا آخر ، متعلما فعالما فعابدا ومربيا رفيقا بولده وزوجه، وهبت على البيت نسائم الحب وصفاء الإيمان وظللت البيت الطمأنينة والسكينة، ورجعت زوجته كأنها عروس كل يوم تنتظر عروسها على شوق، وصنع الرجل وزوجته من بيتهما مدرسة علم وواحة أدب رفيع يأوى إليها أبناء جيرانه فضلا عن أبنائه وأبناء أقاربه. وزار الأعرابى أمير المؤمنين عمر ومعه زوجه وجميع ولده فسر بهم الأمير واستبشر بالخير يشع من وجوههم.

فقال الأعرابى : هذا ثمر غرسك يا أمير المؤمنين وتعليمك وإرشادك فإنك الأمير الذى علمتنى .

فقال الأمير : بل زوجك، جعل الله حالها سببا فيما أرى فهلا قلت: علمتنى زوجتى ناسبا الشىء إلى سبب من أسبابه .

الاختيار الصعب (١) وصور من صبر النساء الصالحات تجاه أزواجهن

(وما عند الله خير وأبقى)

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً (٢٨) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : ٢٨-٢٩] .

قال ابن كثير رحمه الله : « هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ ، بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ، ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل » فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة ، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة (٢) .

فصل

سبب نزول الآيتين :

روى البخاري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ ، جاءها حين أمره الله تعالى أن يخبر أزواجه، قالت : فبدأ بي رسول الله ﷺ فقال : « **إني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك** »، وقد علم أن أبواي لم يكونا يأمراني بفراقه- قالت : ثم قال : «إن الله تعالى قال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ﴾ إلى تمام الآيتين فقلت له : ففي أي هذا أستأمر أبوي ، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة .

وفي رواية : قالت : ففرح بذلك النبي ﷺ .

---

(١)من كتاب مهلا يا نساء المسلمين (ص١١).

(٢)تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٨٠) .

وفى رواية : فسر ﷺ بذلك ، وعرض على نسائه ، فتتابعن كلهن ، فاخترن الله ورسوله ﷺ .

وروى الإمام أحمد عن جابر رضى الله عنه قال : أقبل أبو بكر رضى الله عنه يستأذن على رسول الله ﷺ والناس ببابه جلوس ، والنبى ﷺ جالس ، فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر رضى الله عنه فاستأذن ، فلم يؤذن له ، ثم أذن لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فدخلا ، والنبى ﷺ جالس وحوله نساؤه، وهو ﷺ ساكت . فقال عمر رضى الله عنه : لأكلمن النبى ﷺ لعله يضحك ، فقال عمر رضى الله عنه : يا رسول الله ، ولو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتنى النفقة آنفا فوجأت عنقها، فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه، وقال : « **هن حولى يسألننى النفقة** » ، فقام أبو بكر رضى الله عنه إلى عائشة ليضربها ، وقام عمر رضى الله عنه إلى حفصه ؛ كلاهما يقولان : تسألان النبى ﷺ ما ليس عنده ،فنهاهما رسول الله ﷺ ، فقلن : والله لا نسأل رسول الله ﷺ بعد ذلك هذا المجلس ما ليس عنده .

قال : وأنزل الله عز وجل الخيار ، فبدأ بعائشة رضى الله عنها ، فقال: « **إنى ذاكر لك أمرا ما أحب أن تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك** » فقالت : وما هو ؟ قال: فتلا عليها : الآية ، قالت عائشة رضى الله عنها : أفيك أستأمر أبوى ؟ بل أختار الله تعالى وروسله ، وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت ، فقال ﷺ : « **إن الله تعالى لم يبعثنى معنفا ، ولكن بعثنى معلما ميسرا ، لا تسألنى امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها** ».

قال عكرمة : وكان تحته يومئذ تسع نسوة ، خمس من قريش: عائشة ، وحفصة، وأم حبيبة ، وسودة ، وأم سلمة رضى الله عنهن ، وكانت تحته ﷺ صفية بنت حيى وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية رضى الله عنهن وأرضاهن أجمعين .

وقال الشيخ أبو بكر الجزائرى حفظه الله : « شاء الله تعالى أن يجتمع نساء الرسول ﷺ لما رأين نساء الأنصار والمهاجرين قد وسع عليهن فى النفقة ، لوجود

يسر وسعة رزق بين أهل المدينة، أن يطالبن بالتوسعة فى النفقة عليهن أسوة بغيرهن، وكن يومئذ تسعا، فأبلغت عائشة بذلك رسول الله ﷺ فتأثر لذلك لعدم القدرة على ما طلب منه ، وقعد فى مشربة له واعتزلهن شهرا كاملا ، حتى أنزل الله تعالى آية التخيير »(١) .

وقال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله : « وخلاصة الآيتين لهن إن كنتن تردن من حياتكن الزوجية » الدنيا وشهواتها وزينتها ، فإننى لم أبعث لذلك ، ولا تزوجتكن لذلك ، فتعالين أعطيكن المتعة المالية ، التى شرعها الله للمطلقات ، وأسرحكن سراحا جميلا ، لا إهانة فيه ولا إساءة، كما أمر الله كل من احتاج إلى تطليق امرأته ، لعدم استطاعته أن يعيش معها عيشة راضية مرضية لله ثم له ولها .

وهو دليل على أنه ﷺ لا يستطيع أن يقدم بوظيفة نبوية مع النساء عمهن من حياتهن النعيم والزينة . وإن كنتن تردن من هذه الحياة الزوجية مرضاة الله تعالى ومرضاة رسوله بالقيام بأعباء الدين، وإصلاح أمور المؤمنات والمؤمنين، وثواب الدار الآخرة، تؤثر على نعمات الدنيا العاجلة، فإن الله أعد للمحسنات منكن فى ذلك أجرا عظيما ، هو أعظم وأكبر مما أعده للمحسنات من سائر المؤمنات(٢) .

وكان الخيار صعبا لنساء النبى ﷺ لأنه كان نوعا من الامتحان والاختبار ، الذى يلمس إيمانهن .

« كان الخيار صعبا لأن المسلم يهلك ، ويضيع دعوته ، إذا ما ركن إلى مطالب النساء فى متاع الدنيا ، حتى يغدو الأمر وكأنها الحياة الطيبة، يزين الشيطان هذا الركون وهذا الهبوط، ويظهره بألف مظهر خادع باسم النعمة والحلال وغير ذلك ، ليطفئ شعلة الدعوة ، ويحرق الدعاة »(٣) .

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير (٤/ ٢٦٢) .

(٢) نداء للجنس اللطيف ص ٩٨ .

(٣) المرأة المسلمة الداعية ص ١٠٥ لمحمد حسن بريغش .

وكان الخيار فى النهاية له دلالة واضحة على عدم اجتماع حب الدنيا وحب الآخرة معا، ولا يمكن أن يكون فى قلب المسلمة إلا أحدهما، لأن الركون إلى الدينا يضعف الإيمان، والثبات على الإيمان يضعف الدنيا فى قلب المسلمة، فلا يزال يهفو إلى ما عند الله تعالى ، ونجد أن شهوات الدنيا وزينتها ومتاعها لا يلعب عندها دورا، بل هو عندها كسراب يمر وينتهى ، وهذا ما نريد أن تفهمه كل مسلمة .

فوائد وعبر

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

إن الآيتين السابقتين كانتا تعقيبا على حادثة خاصة بزوجات النبى ﷺ ، ولكنهما فى نفس الوقت تعطيان لنا النماذج والأمثلة والفوائد والعبر لتتأسى بهن نساء المسلمين فى كل عصر وفى كل مكان، ولتتعرف كل امرأة صالحة على الفوائد والعبر التى تأخذها من هذا الدرس التربوى العظيم .

الفائدة الأولى : تقويم طبيعة المرأة :

أول ما نلمحه فى هذه الحادثة طبيعة المرأة التى تميل أكثر من الرجل إلى حياة الدعة والرفاه ، فإن غفلت عن مراقبتها ، دفعتها إلى الدنيا دفعا مخيفا، يكون من شأنه الغفلة عن الله والدار الآخرة، وهذا هو الهلاك بعينه، ونساء النبى ﷺ فى هذه الحادثة كن فى طليعة المسلمات المؤمنات اللواتى تحملن فى سبيل الدعوة ، وآثرن قسوة الحياة وصعابها مع الإيمان على الرفاه والنعمة والسعة مع الكفر ، وضربن فى ذلك أحسن الأمثلة، ومع ذلك فإن هؤلاء النسوة - رضوان الله عليهن - رأين رسول الله ﷺ وقد أيده الله بالنصر ، وأظفره بأعدائه وجاءت إليه الوفود مسلمة مبايعة، وراحت جيوشه تضرب بسيف الله هنا وهناك ، والنعمة والغنائم أضحت ترد كل يوم ليوزعها على المسلمين مهاجريهم وأنصارهم فيفرح المؤمنون بنصر الله ويشكرونه على نعمائه، ويظهر ذلك على المجتمع كله، فتغدو النساء أكثر رفاها وتنعما ، ويستمتع

الناس برزق الله الحلال ، فتميل نفوسهن - رضوان الله عليهن - إلى الدنيا ، ويطلبن من رسول الله صلوات الله عليه النفقة والسعة، عندما رأين ما فى أيدى الناس من سعة ونعمة، كان ذلك ينم عن طبيعة المرأة مهما بلغت منزلتها ، ومهما رأت من صور الإيمان » ولكن الله عز وجل أراد أن يقوم هذه الطبيعة ، ويحد لها حدودا واضحة ، تبقى معالم ثابتة على مدى الزمن »[1] .

لذا فإن المرأة إن تركت طموحاتها الدنيوية التافهة لانطفأت حرارة الإيمان فى قلبها وغفلت عن نعيم الآخرة، والسعى فى التماس رضا الله عز وجل » ولثقلت عليها الطاعات، إن لم تصب بتفريط هنا وهناك، إن الاسلام لا يمنع المرأة أو غيرها من التمتع بالحياة وملذاتها مما أحل الله تعالى لنا ، ولكن لابد أن يتم ذلك وفق ضوابط شرعية ، حتى لا تسقط المرأة فى مستنقع الدنيا ، وحتى لا تظهر صورة المرأة الملتزمة مخالفة لما تدعو إليه الناس من الترغيب فى الآخرة ، والتجافى عن الدنيا ، والإقبال على الله وكتابه وذكره ، فإن الناس إن وجدوها وهى تأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر مقبلة على الدينا فى حديثها واهتماماتها وبيتها لأعرضوا عنها ، ولم يكن لحديثها لهم أثر فى قلوبهم وواقعهم، لذا فإن على الرجل بحكم قوامته داخل البيت أن يباشر مسئوليته داخل البيت ، فيقوم طبيعة المرأة ، ويحد من آمالها الدنيوية، ويرغبها فيما عند الله عز وجل من الجنة ونعيمها .

على الرجل ألا يحرم المرأة من التمتع بما أحل الله لنا من الطيبات، حتى لا يصطدم بطبيعتها ولكن دون إسراف أو تقتير ، حتى تحقق لنفسها المطالب المادية، وفى نفس الوقت المطالب الروحية، التى تسمو بالنفس إلى أعلى عليين، على الرجل أن يذكر المرأة بحقارة هذه الدنيا » وأنه عما قليل كلنا عنها راحلون، فأين الزاد للقبر ؟ وأين الزاد للقاء رب السموات والأرض ؟!

ويكون معها على هذا الحال ، بين الترغيب والترهيب ، حتى تستقيم نفسها

---

(١) المرأة المسلمة الداعية - لمحمد حسن بريغش .

وتعتدل، ولا تمل من المراقبة من بعيد، فإن وجد إقداما على الدنيا حذر ، وإن وجد إقداما على الآخرة رغب، وهكذا يكون تقويم طبيعة المرأة .

الفائدة الثانية : المرأة صمام الأمان فى المجتمع :

فإن فلاح أى مجتمع مرتبط ارتباطا وثيقا بصلاح المرأة فيه ، وفساده مرتبط بفسادها، وفتنتها البالغة فى المجتمع ، بتبرجها وزينتها واختلالها ، وغير ذلك من صور الافتتان بها ، لذا كان الاهتمام بتربية البنات منذ صغرهن على الدين، وسلوك طريق الخير والصلاح، عاملا أساسيا ومهما فى تنشئة جيل صالح من نساء المسلمين، ولا يتنكب شرع الله ، ولا يسلك طريق الشيطان بخيلائه وحبائله.

وإذا قصرنا فى تربية المرأة ، وتهيئة المناخ الصالح لها ، لفسد المجتمع ، وانتشرت الفاحشة، وعم المنكر ، وساءت الأخلاق ، كما هو الحال فى أكثر المجتمعات اليوم .

لذ فقد حذرنا النبى ﷺ أشد التحذير من فتنة النساء ، فعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : رسول الله ﷺ : **« ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء »** (١).

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« المرأة عورة ، فإذا خرجت استشرفها الشيطان »** (٢) وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« إنما النساء عورة ،وإن المرأة لتخرج من بيتها وما بها بأس، فيستشرفها الشيطان ، فيقول : إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبتيه، وإن المرأة لتلبس ثيابها، فيقال : أين تريدين؟ فتقول : أعود مريضا أو أشهد جنازة، وأصلى فى مسجد، وما عبدت امرأة ربها مثل أن تعبده فى بيتها »** (٣).

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

(٢) صحيح رواه الترمذى صحيح الجامع برقم (٦٦٩٠) .

(٣) رواه الطبرانى ، وقال المنذرى : إسناده حسن ، ووافقه الألبانى .

وروى مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الدنيا خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء**» وقد أشار القرآن أيضا إلى خطر الفتنة بالمرأة، فقال سبحانه : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ [آل عمران : ١٤] فقدم سبحانه النساء لعراقتهن فى هذا الباب ولأن أكثر الرجال إنما دخل عليهم الخلل من قبل هذه الشهوة. من أجل ذلك كله لابد أن نحرص أشد الحرص على صمام الأمان فى المجتمع، ونأخذ بيدها إذا ما ركنت إلى الرفاه، وسعت إلى التنعم والإسراف من أجل حب الدنيا ، كذلك لابد أن لا تنسى المرأة دورها فى الحياة، لماذا خلقت ؟ وكيف تعيش ؟ وإلى أين هى راحلة ؟ فإذا ما استقرت هذه الأمور الأساسية عندها ضمنا بحمد الله عدم تنكبها الصراط، وتخلفها عن مهمتها الأساسية فى الحياة قال تعالى : ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات : ٥٦] قال ابن كثير رحمه الله : « وعبادته هى طاعته بفعل المأمور وترك المحظور » وقال تعالى أيضا : ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل : ٣٦] .

وروى البخارى ومسلم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : « كنت رديف النبى ﷺ على حمار » فقال لى : « **يا معاذ ، أتدرى ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟** قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا** »، ومن ذلك يتضح للمرأة الصالحة أنها ما خلقت فى هذه الدنيا للعبث واللهو ، وإنما خلقت لتسلك مرضاة الله عز وجل ، فتطيع أمره ، وتجتنب نهيه.

وإنى لأعجب من المرأة التى تعمل فى وظيفة ما ، فتلتزم بوقت العمل وقوانينه، وتحاسب من يقصر، وربما قدمت العمل على أمور أهم منه ، ثم لا أجد ذلك منها فى الوظيفة التى خلقت من أجلها ، فنجد عندها تهاونا فى بعض الطاعات،

وانحرافات في بعض السلوكيات والمعاملات مع التقصير الشديد في تربية أولادها والإهمال في حق زوجها ، وما هذا إلا بسبب الجهل بالله وبدينه.

الفائدة الثالثة : العواقب الوخيمة للترف والتنعم :

وأعنى بالترف والتنعم الإسراف فيهما حتى يصل الأمر بالمسلمة أن يكون هذا هو شغلها الشاغل فى الحياة، وتدور اهتماماتها حول متاع الدنيا وشهواتها وزينتها، فإذا ما تركت المرأة المسلمة لنفسها العنان ، حتى تقع صريعة للدنيا، فلابد أن تجنى من وراء ذلك آثارا سيئة أخطرها :

١- الغفلة عن الله والدار الآخرة :

فالمرأة لا تفكر إلا فى الترف والتنعم، وتنسى ربها ، فتجترح السيئات وتتمادى فى الذنوب. فعن زيد بن ثابت رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **من أصبح همه للدنيا : شتت الله عليه أمره، وفرق عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن أصبح همه الآخرة : جمع الله له أمره ، وحفظ عليه ضيعته، وجعل غناه فى قلبه، وأتته الدنيا وهى راغمة** » [1].

٢- قسوة القلب والتكاسل عن الطاعات :

ومن المهم أن يفطن دعاة الإسلام إلى نتائج الترف ، وخطورة الاطمئنان إلى التنعم، لأن فى هذا إماتة للقلب المؤمن اليقظ ، وصدا عن الجهاد ، وقعودا عن متابعة الدعوة، ولكم كانت هناك صور من هذه المحن سقط فيها شباب المسلمين ، كان يمتلئون حماسا ويتقدون اندفاعا، حتى إذا اطمأنوا إلى هذا النعيم الزائل ، وحرصوا على صور الرفاه، انطفأت شعلتهم، وماتت قلوبهم،وصاروا هياكل جوفاء، وكم خسرت دعوة الإسلام من رجال صبروا على محنة العذاب، ولم يستسلموا للبؤس، ولكنهم خسروا المعركة فى ميدان الرفاه، فمالوا عن الدعوة، وزينت لهم نفوسهم حياة الدعة، وسخروا أنفسهم لهذا ، فأصبحوا مثلا يخشاه الصادقون.

---

(١) رواه ابن ماجه بسند (صحيح انظر سنن ابن ماجه برقم ٣٣١٣، والصحيحة رقم ٩٥٠).

أفبعد هذا نطمئن إلى هذه الصور البراقة وننسى ما عند الله ؟ (١).

٣- التكبر : وهذا المرض ناتج عن إصابة الإنسان بالترف ، فالمصاب بالترف ، يتكبر على الله وعلى عباده، فمن أمثلة تكبره على زعمه أن ما أعطى من مال هو من كسبه، أو بسبب علمه، كما حدث ذلك من قبل لقارون عندما قال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص : ٧٨] .

وأما الكبر على عباده فهو ممقوت بأى شكل من الأشكال ، وقد بين القرآن صور الكبر والمتكبرين، فمنها قوله تعالى : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان :١٨] .

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا»، لقد جاء القرآن الكريم ليحدد القيم الأساسية فى تصور الإسلام للحياة، هذه القيم التى ينبغى أن تجد ترجمتها الحية فى بيت النبى ﷺ ، وحياته الخاصة ، وأن تتحقق فى أدق صورة وأوضحها فى هذا البيت الذى كان وسيبقى منارة للمسلمين وللإسلام ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد نزلت آيتا التخيير تحددان الطريق وإما الحياة الدنيا وزينتها ، وإما الله ورسوله والدار الآخرة ، فالقلب الواحد لا يسع تصورين للحياة ، وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » (٢) فهل بعد ذلك يكون هناك معنى للترف الزائد فى حياة المسلمة، أو مكان للتنعم الكاذب، الذى يلهى أهله عن أغلى شىء فى الحياة وهو الدين ، وأغلى شىء فى الآخرة وهو الجنة ؟!.

الفائدة الرابعة : موقف الرسول ﷺ :

إن موقف الرسول ﷺ من هذه الحادثة يضرب لنا مثلا رائعا للرجل الداعية الحق، والقدوة الحسنة ، والمثل الطيب ، كى يكون لنا جميعا نبراسا فى طريق الإيمان

---

(١) المرأة المسلمة الداعية ص ١٠١ .

(٢) فى ظلال القرآن (٥/ ٢٨٥٥) .

والدعوة وماذا يجب على النبى ﷺ أن يفعله ؟ هل يؤثر أن يحافظ على البيت من التصدع، ويحقق لنسائه هذا المطلب الدنيوي الهين ؟ لقد كان مجتمع النبى ﷺ مجتمعا وليدا، فى أول مهده ، والناس ينظرون إليه كقدوة » ويعرف أثر ذلك لو استجاب لزوجاته على نساء المسلمين أيضا اللاتى ينظرن إلى النبى ﷺ الرسول والقدوة أيضا، بل سيتعدى الأمر إلى أعماق الكيان الاجتماعى للمجتمع المسلم، فيؤثر على كيان الأسرة المسلمة، التى يريد تكوينها على تصور إسلامى راسخ، بعد تهدم الصورة المزيفة للأسرة القديمة ، التى قامت على إشباع اللذة وحب المادة، والفخر بالمال والولد، فأهينت المرأة وبقيت متاعا لا دور لها ولا قيمة[١] . ولهذا كان موقف النبى ﷺ موقفا واضحا وصارما فى نفس الوقت ، يرسم الطريق الصحيح للمسلمين والمسلمات، أراد النبى ﷺ أن يعلمنا أن طريق الدعوة ليس طريق التنعم والرفاهية، لا سيما إذا كان أهله ممن سينظر إليهم كقدوة فى المجتمع، أراد النبى ﷺ أن يكبح جماح المرأة فى طلب الدنيا وملذاتها وشهواتها ، ويذكرها بما عند الله من النعيم المقيم. والذى لا يقارن بأى متاع فى الدنيا، أراد النبى ﷺ أن يزداد الشعور بأمانة الدعوة والإسلام فى النفس، إلى حد لا يترك عنده مجالا لإيثار دنيا زائلة على آخرة، ولا تفضيل مظهر من مظاهر الدنيا على أمر الله وأمر رسول الله ﷺ ، أراد النبى ﷺ أن يعلمنا أن أمر الآخرة ونعيمها لا يقاس بالدنيا ، بل على من يريد الآخرة ويسعى لها ، أن يكون منضبطا فى علاقته بالدنيا ، فلا يميل لها كل الميل فيهلك ولا يزهد فيها زاهدا مبالغا فيه عنده فيهلك، وإنما التوسط والاعتدال فى التمتع بما أحل الله تعالى لنا من الطيبات فى الوقت الذى لا يلهينا عن الله والدار الآخرة .

إن هذا الحادث يحدد لنا التصور الإسلامى الواضح للقيم ، ويرسم الطريق الشعورى للإحساس بالدنيا والآخرة، ويحسم فى القلب المسلم كل أرجحة وكل لجلجة بين قيم الدنيا وقيم الآخرة ، بين الاتجاه إلى الأرض ، والاتجاه إلى السماء ،

---

(١) المرأة المسلمة الداعية ص ١٠٣.

ويخلص هذا القلب من كل وشيجة غريبة تحول بينه وبين التجرد لله والخلوص له وحده دون سواه(١) .

فصل

موقف أمهات المؤمنين رضى الله عنهم :

وفى نفس الوقت لا نستطيع أن نغفل عن الموقف الرائع لأمهات المؤمنين حين اخترن الله ورسوله ﷺ ، وحين انتصر الإيمان الناضج فى نفوسهن على الدنيا وملذاتها، حين آثرن ما عند الله على الدنيا وزينتها ، كان الموقف رائعا حين ضربن المثل والقدوة الصالحة لأجيال وأجيال من النساء يأتى بعدهن إلى قيام الساعة ، لمن تريد الاعتبار والاتباع، ولمن تريد القدوة العملية.

ولو أن نساءه ﷺ غلب عليهن التمتع بالنعمة والزينة والترف لاقتدى بهن جميع النساء من ذلك العهد ، ولما استطاع الرجال صرفهن عنه ، ولما قامت للأمة قائمة، فإن الإسراف فى الترف والزينة يهلك الأمم الغنية، فكيف تقوى به الأمم الفقيرة، أم كيف يمكن أن تؤسس أمة قوية عزيزة مصلحة لفساد البشر وظلمهم بتنشئتها على التنافس فى الشهوات والزينة ؟!

وإنما أباح الله الزينة والطيبات فى حال السعة والثروة ، بدون إسراف ولا بطر ولا مخيلة(٢) .

فصل

موقف أبى بكر وعمر رضى الله عنهما :

كان موقفهما يعبر عن الإحساس الصادق للمسلم الذى يفهم دينه، وطبيعة دعوته.

---

(١) فى ظلال القرآن (٥/ ٢٨٥٥) .

(٢) نداء للجنس اللطيف للشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله ص ٩٧ .

لقد قاما رضى الله عنهما يريدان ضرب عائشة وحفصة رضى الله عنهما، بعد أن علما أمر مطالبتهما النبى ﷺ بمزيد من النفقة ، لتعلم النساء جميعا أن الأمر أخطر بكثير من النفقة، والزينة ومتاع الدنيا « إن الخطر كان يكمن فى تسلل الشيطان إلى القلب فيتمكن منه، فتضيع الأسرة، وينسى كل فرد فيها مهمته ودوره الذى أناطه به الإسلام.

ولكن النبى ﷺ لم يقبل من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما أن يضربا عائشة وحفصة على هذه المراجعة، فالمسألة مسألة مشاعر، وميول بشرية، تصفى وترفع، ولكنها لا تخمد ولا تكبت!»[1] إن مسألة معالجة القلوب عندما تهفو إلى الدنيا، أو إلى الدعة والراحة، أمر هام خطير، فعلى قدر التوفيق فى معالجتها، على قدر ثباتها على الطريق ، وفهمها لحقيقة الأمور، ووضعها فى مكانها الصحيح.

وعندما نخطئ ونعالج هذه القلوب بالإهمال واللامبالاة، أو برد فعل غير صحيح، نكون بذلك سببا فى إقبالها على الدنيا أكثر وأكثر وفى النهاية لم نصل إلى ما نرنو إليه من رؤية قلوب سليمة ، ونفوس مطمئنة.

فصل

موعظة :

إماء الله : إن من نظرت إلى الدنيا بعين البصيرة، أيقنت أن نعيمها ابتلاء « وحياتها عناء، وعيشها نكد، وصفوها كدر، وأهلها منها على وجل، إما نعمة زائلة أو بلية نازلة، أو أمنية قاضية، مسكينة من اطمأنت بدار حلالها حساب وحرامها عقاب، إن أخذت من حلالها حوسبت عليه ،وإن أخذت من حرامها عذبت به.

فيا أيتها المرأة المسلمة : اتقى الله تعالى ،وانظرى إلى الدنيا النظرة الصحيحة دون مغالاة أو قصور خذى من الدنيا ما أحل الله لك من الطيبات ، ولكن بقدر حتى لا

(١) الظلال (٥/٢٨٥٦) .

تقعى فريسة لها ، لا تحزنى على ما فاتك من متاعها ، ولا تفرحى بما آتاك الله منها، خذى من الدنيا ما تريدين وتمتعى ، بشرط أن تكون عينيك على الآخرة.

إن المرأة الصالحة لا تنظر إلى الدنيا إلا كما صورها الله عز وجل فى كتابه ﴿مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ، وكما حدثنا عنها رسول الله ﷺ : « لا تعدل عند الله جناح بعوضة » وتسعى للظفر بنعيم خالد ، ولتفرغى من قلبك ولنفسك كل ولاء لغير الله عز وجل.

احذرى أن يكون همك هو الدنيا ، فإن الهم الحقيقى هو سكرات الموت، هم القبر هم البعث، روى ابن ماجه عن عبد الله قال : سمعت نبيكم ﷺ يقول : « **من جعل الهموم هما واحدا ، هم المعاد ، كفاه الله هم دنياه ، ومن تشعبت به الهموم فى أحوال الدنيا ، لم يبال الله فى أى أوديتها هلك** » (١) .

أراك يزيدك الإثراء حرصا على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية إن ضرت يوما إليها قلت حسبى قد كفيت

قال على رضى الله عنه : من جمع فيه ست خصال ، لم يدع للجنة مطلبا، ولا عن النار مهربا: من عرف الله فأطاعه ، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الدنيا فرفضها ،وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الآخرة فطلبها .

أين نساؤنا اليوم من هذا كله ؟ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الحديد: ١٦] وبعد . . . يا نساء المسلمين ! فمهلا على أنفسكن أولا من الدنيا وزينتها .

ومهلا على أزواجكن وآبائكن من طلب المزيد والمزيد منها ، كم تهدمت بيوت، وافترق أزواج، وتشرد بنون، من أجل مطالب تافهة تمسكت بها الزوجة، وتخاصم من أجلها الأهل، حتى أصبحت خرابا للبيوت؟

فهذا شكى لى زوجته التى أرادت تغيير أثاث البيت بعد ثلاث سنوات من الزواج!!

وهذا يشكو زوجته لأنـها تريد أن تشترى لها ذهبـا بعد زواجهما بـأشهر قليلة ؛ لأنها كانت معتادة على لبس الذهب فى بيت أبيها !!

وهذه كلما رأت أختها ، أو زوجات إخوتها ، قد اشترين شيئا من متاع الدنيا ، تبدأ بالبحث عما تريده هى الأخرى مثلهن.

وهذه تلح على زوجها إلى حد الإرهاق ، حتى يشـترى السيارة، وحتى يأخذها وأولادها ليقضوا الصيف فى بلد آخر !!

وهكذا إلى سلسلة لا تنتهى من المطالب الدنيوية، التى تفوق قدرته المادية، حتى يلجأ إلى التقسيط والاقتراض، حتى يصل إلى درجة ليس وراءها من عمل إلا التعب والكد من أجل الحصول على المال ، وكأنه خلق له فقط !!

لماذا طغى حب الدنيا وشهواتها على نفوس النساء ؟

لماذا توارى عندهن الخوف من الله ، والالتزام بشرع الله ؟

لماذا تركض المرأة وراء كل جديد براق ؟

ألم يتحول المتـاع الطاهر إلى إسراف كريه ، حتى باتـت كل واحدة تحرص على كنز ما ينوء حمله أكثر الرجال من الأثواب والزينات والموضات ؟!

ألم تصبح مظـاهر العصر وأزياء الغـرب مثار تقـدمنا ومظهر سـعادتنا ، ودليل مسـايرتنا للعصر ؟!

ألم نتهم الـذين لا يخضعـون لهذه المظاهر الكاذبة بالتـأخر والرجـعية والجـمود والانغلاق ونتهمهم أحيانا بأنهم يحرمون ما أحله الله ؟!

ألم نتوار تحت عناوين فضفاضة من المباحات، دون تلمس الحقائق، وفهم الروح الحقيقية لما يباح أو يحرم، والنية المتوارية وراء هذا الجديد؟!

ألم يبدأ الانحـراف بخطوة حتى صار عـريا وتبرجا واختـلاطا وإشراكـا ودعارة بمسميات جديدة .

ألم نستمرئ ذلك كله ونركن إلى الدنيا[١] ؟!

لا أريد بهذا الحجر على النساء ، وإنما أريد أن تعى المسلمة الدور المطلوب منها، وأن تعرف مهمتها الحقيقية ، وألا تنجرف وراء شياطين الإنس والجن، ليخرجوها عن هويتها الحقيقية » وعن دورها الصحيح . أريد ألا نخسر الآخرة ، وأن نتذكر يوم الحساب.

أريد أن توازن المسلمة بين مسئوليتها أمام الله تعالى ، وبين متطلبات الدنيا.

أريد أن توازن المسلمة بين رغباتها الدنيوية غير المحدودة، وما تأمله من متاع وزينة فيها » وبين ما عند الله عز وجل من النعيم المقيم. أريد أن توازن المسلمة بين الدنيا بكل ما فيها ولحظة الموت، ولسوف يسألها ربها غدا عن كل هذا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ولعل المرأة المسلمة الصالحة التى ترجو الله والدار الآخرة، هى التى تعى دورها الحقيقى فى هذه الحياة، وتقف من نفسها موقف التأمل والحساب والمراجعة، حتى تظل على الطريق الصحيح لجنة رب العالمين .

ولعلها أيضا تدرك حبائل الشيطان وهجمات الجاهلية الخبيثة، بأزيائها ومستحدثاتها ومغرياتها، فتبعد عن الشبهات، ولعلها تدرك خطورة الانهزام فى تافهات الأمور وصغائرها ، وما يتبع ذلك من انزلاق وتهديد الإسلام .

إن التسامح ومطاوعة الجاهلية فى مظهر أو تصور أو ملبس أو وضع من الأوضاع يعنى بداية المنزلق الخطير لمسيرة المرأة المسلمة»[٢] .

فصل

أين المسلمة من القناعة ؟ :

إن القناعة يا نساء المسلمين هى السعادة كلها ، وهى سبب السرور والطمأنينة فى

(١) المرأة المسلمة الداعية ص ١١٢ .

(٢) المصدر السابق ص ١١٤ .

النفس والأسرة والمجتمع بكامله. إن المرأة التى لا تقنع برزق الله ، وتتطلع دائما إلى ما عند غيرها ، وترهق زوجها كثيرا من أجل ذلك، تعمل على تقويض البيت الذى يؤويها وتمكن الشيطان من نفسها حتى تصبح تابعة له مصيرها حتما إلى الهلاك .

ارضى بما قسم الله لك تكونى أسعد الناس ، قال بعض العارفين: يا بن آدم إذا سلكت سبيل القناعة ، فأقل شيء يكفيك ، وإلا فإن الدنيا وما فيها لا تكفيك.

« إن القناعة تضفى على النفس الرضا والسعادة والطمأنينة، وتورث صاحبها عزة، فلا يقبل الهوان، ولا ركوب الحرام ، للاستكثار من المنافع المادية .

قيل لابن عباس : إن فلانا ترك كذا وكذا ألفا. قال : ولكنها والله لا تتركه.

إن المال الكثير ، والمتاع الفاخر، ليس نعمة دائما، بل قد يكون فتنة، فاقنعى بما آتاك الله ، وارغبى فى الآخرة، وليست تعنى القناعة الخمول وترك الطموح، كلا، إن طلب الرزق والتطلع إلى التوسعة على الأهل والعيال وطلبة العلم والمجاهدين فى سبيل الله ؛ أمر طيب، لكن الذى نعنيه ألا تحمله الرغبة فى كسب المال على المهانة، أو الوقوع فى الحرام، أو التفريط فى كرامته، أو نسيان الله ، والتكاسل عن الطاعات»(١) .

« إن المرأة فى هذا العصر ، إلا من رحم الله - قد راحت تعبد المظاهر، وتستهويها الزخارف، وقد بين النبى ﷺ أن تعلق النساء بالمظاهر والزينة من حرير وحلى سبب للهلاك فى الدنيا والآخرة .

أما فى الدنيا: فعن أبى سعيد ﷺ، أن النبى الله ﷺ خطب خطبة فأطالها وذكر فيها أمر الدنيا والآخرة، فذكر أن أول ما هلك بنو اسرائيل أن امرأة الفقير كانت تكلفه من الثياب أو الصبَغ- أو قال من الصِيغة- ما تُكلف امرأة الغنى(٢) .

---

(١) نظرات فى الأسرة المسلمة بتصرف ص ١١٣ للدكتور محمد لطفى الصباغ .

(٢) رواه ابن خزيمة ، وقال الألبانى : إسناده صحيح (السلسلة الصحيحة برقم (٥٩١) .

وأما في الآخرة : فإن انشغال المرأة بالحرير والذهب عن طاعة ربها ، يعوقها عن السمو إلى المنازل العليا في الجنة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ويل للنساء من الأحمرين : الذهب والفضة** »[1] .

فيا أمة الله ، اتقي الله تعالى ، وصاحبي زوجك بالقناعة ، ولا تتطلعي إلى ما عند الغير من متاع الدنيا ، فإنها والذي نفسي بيده تطلعات تافهة ، ولا تشغلي نفسك بأترابك من النساء الأقارب أو الجيران أو المعارف من التباري في اقتناء الكماليات ، فالدنيا قاربت على الانتهاء ، واقتربت الآخرة ، بل وجهي مالك للبذل في سبيل الله تعالى، حتى يكون رصيداً لك يوم القيامة .

فصل

همسة في أذن الأخوات الملتزمات بدين الله :

احذري عقد مباريات جانبية تحت أي مسمى بينك وبين أترابك من الأخوات ، في اقتناء الكماليات ، وكثرة الإنفاق في متاع الدنيا ، فإنك قدوة لغيرك ، فاحذري أن تسقط القدوة عند الناس ، فتكوني سبباً في ابتعادهم عن الدين وعدم الالتزام به .

إن الناس إذا وجدوا خطيبة مفوهة ، أو داعية مجتهدة ، أو مجتهدة في حفظ القرآن ، أو تحصيل العلم الشرعي ، وهي في نفس الوقت أحرص الناس على حياة، لاختلت عندهم الموازين ولانصرفوا عن الطريق الصحيح للاستقامة على الدين .

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا ... إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها

أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهداً ... والموبقات لعمري أنت جانيها

تعيب دنيا وناسًا راغبين لها ... وأنت أكثر الناس رغبة فيها

---

(١) أخرجه ابن حبان وغيره ، وقال الألباني : إسناده جيد (الصحيحة) برقم (٣٧٩) ، انظر : عودة الحجاب للشيخ محمد إسماعيل حفظه الله (٢ / ٤١٦).

إن المسلمة الداعية تكسب لدعوتها بسلوكها أكثر مما تكسبه بحديثها ، وموعظتها، ودروسها في المسجد ؛ ذلك لأن الناس ينظرون دائمًا إلى الدعاة كنماذج حية لهذه الدعوة ويتأثرون بسلوكهم العملي أعظم مما يتأثرون بكلماتهم أو خطبهم أو ندواتهم .

فلتحذر المسلمة من مخالفة أفعالها لأقوالها ، فإن النفس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه ، ولا يوافق فعله أقواله ، ولهذا قال شعيب عليه السلام لقومه : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود : ٨٨] .

إن المرأة الصالحة عندما تمتثل أوامر الله تعالى ، وتجتنب نواهيه ، تصبح كأنها قطعةٌ من الإسلام ، يرى الناس فيها جمال الإسلام وجلاله وحسنه ، في تصرفاتها ومعاملاتها في بيتها ومع أولادها وزوجها.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يُقيض لهذا الدين نساء صالحات يقمن بإصلاح أنفسهن من خلال بيوتهن ، يرفعن شعار الإسلام ، ويُشْعِرن أزواجهن بالأمان ويحيين سنة النساء الأوائل الذين كن مثلاً وأنموذجاً قل أن ترى البشرية حتى وقتنا الحاضر مثله ، فقاموا بأعظم صناعة عرفها التاريخ ، وهي صناعة الرجال، وأسأله أن يعيننا على إصلاح أولادنا ونسائنا، وأن يجعلهم عونا لنا على ديننا، وأن يحفظنا جميعا بالإسلام، ويحفظ الإسلام بنا ، وأسأله تعالى أن يستعملنا جميعًا لخدمة هذا الدين ونصرة هذا الدين آناء الليل وأطراف النهار، وأن يجعل ما قلناه وما كتبناه زادًا لنا إلى حُسن المصير إليه ، ويُمن القدوم عليه ، وهو حسبنا ونعم النصير ، وهو على كل شيء قدير ، والحمد لله رب العالمين.

عماد بن حمدي الحكيم

٣ رجب ١٤٢٦ هـ

فهرس الموضوعات